جيل الوعد الإلهي المنشود (٢)

ملامح المجتمع المسلم المنشود
في سورة النور

سعيد أحمد
ماجيستير الفقه - جامعة الأزهر

الطبعة الإلكترونية الأولى
جمادى الأول ١٤٤٧هـ / أكتوبر ٢٠٢٥م

جيل الوعد الإلهي المنشود (٢)

ملامح المجتمع المسلم المنشود في سورة النور

سعيد أحمد
ماجستير الفقه – جامعة الأزهر

الطبعة الإلكترونية الأولى
جمادى الأول ١٤٤٧هـ / أكتوبر ٢٠٢٥م

بسم الله الرحمن الرحيم

بينت سورة النور

بجلاء، ملامح المجتمع المسلم

المستحق لوعد الله ، هذه الملامح التي

يجب أن تكون ملامح كل مجتمع

مسلم يطمح للموعدة

بهذا الوعد

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد ﷺ، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد

توصلنا في كتابنا الأول من سلسلة **(جيل الوعد الإلهي المنشود)**، المعنون: **"متى يتحقق وعد الله للأمة الإسلامية"**، إلى نتيجة مفادها أن وعد الله ﷻ لا يُوعَدُ لمجتمع عاصٍ أو فاسق أو فاسد أو ظالم. وهذا يتفق تمام الاتفاق مع رأي العلامة الدكتور/ عبد الكريم زيدان (رحمه الله) في كتابه القيم: **" السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية"** [ص: ٥٥]. فهذا الوعد لا يتحقق إلا للمجتمع المسلم الذي ارتقى لمستوي الوعد، بالإيمان والعمل الصالح، والذي أوفي بشرط العبادة الكاملة الشاملة، المنزهة عن الشرك بكافة أنواعه وأشكاله القولية والفعلية، والبدع بأنواعها القولية والفعلية، والذي نفى عن نفسه ما يمنع تحقيق وعد الله ﷻ له.

وقد تخفى ملامح هذا المجتمع المسلم المنشود؛ بسبب عدم وجود مثال حي مُشاهد لهذا المجتمع حاليا في واقع الناس؛ لذلك فإن الكتاب الثاني من هذه السلسلة بعنوان: **"ملامح المجتمع المسلم المنشود في سورة النور"**، وهدفه توضيح ملامح هذا المجتمع المسلم المستحق لأن ينجز الله ﷻ له وعده الذي وعده المؤمنين الذين يعملون الصالحات: بالاستخلاف في الأرض، وتمكين دين الإسلام في القلوب وواقع المجتمع، والأمن الشامل، الأمر الذي أوضحَتْهُ سورة النور غاية الإيضاح، وبينته أجْلى بيان.

وما وجدت ما يدل على محتوى هذا الكتاب أفضل من عنوان كتاب العلامة الإمام يوسف القرضاوي رحمه الله ﷻ: (ملامح المجتمع المسلم الذي ننشده)، فجعلته عنوانا لهذا الكتاب، مع زيادة: (في سورة النور)، ففيها النور الذي يجب أن تسترشد به المجتمعات المسلمة التي تاهت في ظلمات البعد عن المنهج الرباني النوراني، ليخرجوا مِنَ ﴿ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ﴾ [إبراهيم ١].

وتظهر عبقرية العلامة الإمام القرضاوي في اختيار هذا العنوان؛ حيث يعطي إحساس للقارئ كأنما هذا المجتمع إنسان حي قد تجسد أمامه، فيرى ملامح وجهه، ومظهره الدال عليه، والمميز له عن غيره من المجتمعات، سواء المجتمعات التي لا تدين بالإسلام، أو تلك المسلمة التي انحرفت عن الجادة، فبانت لها ملامح أخرى لتأثرها بمناهج مستوردة بعيدة عن طبيعتها، شوهت ملامحها الوضيئة التي ميزتها عن غيرها أيام التزامها بالمنهج الرباني النوراني الكامل الشامل، الذي أنزله ﴿نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ ﷻ ، بواسطة جبريل عليه السلام، المخلوق من النور، على قلب النبي ﷺ، الذي ﴿جَاءكُم مِّنَ اللهِ نُورٌ﴾ ، ﴿وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾.

وقد بذلت أقصى الوسع، واجتهدت غاية الجهد، وحرصت كل الحرص؛ حتى تتضح الصورة تمام الوضوح، بالدقة المطلوبة، والضبط اللازم، مع قصر الباع، وقلة المتاع، ولا يُكلف الله ﷻ نفسا إلا وسعها، فالقرآن غالب لا مغلوب، ويعلو ولا يُعلى عليه، ولا تنتهي عجائبه، ولا يَخْلَق على كثرة الرد، فهو معجزة النبي ﷺ، التي تحدى بها أهل الفصاحة والبلاغة، فعجزوا حتى على أن يأتوا بآية من مثله، والكمال غاية لا تدرك. فما كان من إحسان وتوفيق فهو من الله ﷻ، وما كان من نقص وتقصير فهو مني،

وحسبي أنني قد اجتهدت، ومن اجتهد وأصاب فله أجران، ومن اجتهد وأخطأ فله أجر واحد.

وقد جعلت الشرح وسطا ما بين الإسهاب الممل والاختصار المخل، حتى تتحقق الفائدة من البحث إن شاء الله ﷻ، وقسمته إلى تمهيد وسبعة فصول كما يلي:

١- تمهيد.

٢- النور في سورة النور.

٣- مجتمع الإيمان والعمل الصالح.

٤- مجتمع المنهج الإسلامي الكامل.

٥- مجتمع المنهج الإسلامي الشامل.

٦- مجتمع الاستخلاف والشهود الحضاري.

٧- مجتمع الوعي المقاصدي.

٨- مجتمع مراعاة السنن الإلهية.

وفي النهاية ذكرت النتائج ، والتوصيات.

والله ﷻ المستعان، وعليه التكلان، ومنه القبول، ولا حول ولا قوة إلا به.

المؤلف

تمهيد

مكث المسلمون في مكة ثلاث عشرة سنة (في الحبشة أقل من ذلك)، قبل أن يهاجروا إلى المدينة المنورة. وقد نزل قسم من القرآن في مكة، وقسم آخر بالمدينة المنورة. ولاختلاف خصائص وظروف كل مرحلة، فقد اختلفت خصائص القرآن الكريم تبعا لذلك فيما بين المرحلتين: المكية والمدنية.

فأما القرآن المكي – وهي الفترة التي كان المسلمون فيها يعانون صدود الكافرين ومقاومتهم – فمن خصائصه: ذكر قصص الأنبياء والأمم السابقة (ما عدا سورة البقر)، وتأكيد وحدانية الله ﷻ، وقدرته على البعث والحساب بعد الموت، وذكر قصة آدم وإبليس (ما عدا سورة البقرة)، وتثبيت فؤاد النبي ﷺ ودعوته إلى الصبر وتحمل أذى المشركين[1].

وأما في المدينة – مرحلة بناء المجتمع المسلم، وقيام الدولة الإسلامية وما صاحب ذلك من مكر اليهود وتآمر المنافقين في الداخل، وخطر الأعداء في الخارج – كان من خصائص القرآن الكريم: ذكر الحدود والفرائض والأحكام، التي تنظم حياة الفرد والمجتمع، والأمر أو الإذن بالجهاد، والحديث عن أحكامه، وذكر المنافقين وبيان أحوالهم وكشف مؤامراتهم في المجتمع الإسلامي الجديد في المدينة، والبحث في شئون الحكم والشورى وضرورة الرجوع فيهما إلى الكتاب والسنة، والكلام عن أهل الكتاب وجدالهم ودعوتهم ومعاملتهم[2].

---

[1] - البُغا، مصطفى ديب – مِسْتُو، محي الدين ديب (ت ١٤٤٢هـ). الواضح في علوم القرآن. ط: دار الكلم الطيب / دار العلوم الإنسانية – دمشق، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م، ص: ٦٦.

[2] - الواضح في علوم القرآن، ص: ٦٦.

ومعرفة الفرق بين القرآن المكي والمدني تفيد معرفة تاريخ التشريع الإسلامي، وتدرج المشرع الحكيم في نقل الناس إلى المنهج الإسلامي الكامل[1]. الذي يشمل بعد العقيدة: الشعائر التعبدية، والأخلاق والمعاملات أو الشرائع المختلفة. ولا يخفى أن أي تجربة اجتماعية جديدة تحتاج إلى زمن حتى تستقر في الأذهان من ناحية العلم والفهم، ثم تظهر في واقع الحياة آثار ذلك ونتائجه، على قدر الجهد المبذول في ذلك. وعلى هذا الأساس استمر تفاعل المسلمين مع المنهج الرباني، فترة من الوقت، حتى برزت إلى الوجود، الملامح النهائية التي وصل إليها المجتمع المسلم الأول في المدينة بتوفيق من الله ﷻ.

ولقد خرَّجت المدرسة النبوية جيلا فريدا، وتكَوَّن في المدينة المجتمع المسلم الأول الذهبي، الذي لم يتكرر في التاريخ السابق عليه ولا المستقبل اللاحق به، سواء من حيث كم النماذج الفريدة أو من حيث المستوى الإيماني والعملي أو من حيث الفترة الزمنية أو الحيز المكاني. فصحيح أنه قد وجد في التاريخ الإسلامي أفراد على المستوى نفسه، لكن لم يحدث في أي زمن أن تجمع مثل هذا العدد من النماذج الفريدة، في مكان واحد، في فترة واحدة، كما حدث في الفترة النبوية المباركة في المدينة المنورة.

فهذه الفئة (الصحابة ﷺ) اختارها رب العالمين ﷻ لتكون نموذجا يُحتذى به مِن بعدهم. هؤلاء الذين قال الله ﷻ عنهم: ﴿**وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**[2]﴾، وقال أيضا: ﴿**لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ**

---

[1] - الواضح في علوم القرآن، ص: ٦٧.
[2] - سورة التوبة، الآية رقم: ١٠٠

الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ[1]﴾ ، وقال النبي ﷺ في حقهم ﷺ: **(لا تسبوا أصحابي، لا تسبوا أصحابي؛ فوالذي نفسي بيدِه: لو أن أحدَكم أنفق مثلَ أحدٍ ذهبًا، ما أدرك مدَّ أحدِهم، ولا نصيفَه)**[2].

وهنا عدة ملحوظات:

الملحوظة الأولى: نحن في حاجة ملحة لأن نتعرف على هذا الجيل الفذ الفريد النموذجي... من اختارهم الله ﷻ ليكونوا أصحاب النبي ﷺ، لنعرف مكان الأسوة لنا في هذا الجيل، ولنقيس مدى قربنا أو بعدنا عن حقيقة الإسلام[3].

الملحوظة الثانية: هذا الجيل إلى جانب تربيته على القرآن الكريم والسنة المطهرة، قد تميز بظروف غير قابلة للتكرار، تمثلت في اندفاعة النشأة الجديدة، ووجود النبي ﷺ بينهم، بشخصه الكريم، وروحه العظيمة المشعة فَشَفَّت وحَلَّقت أرواحهم.

إلا أن عدم وجوده ﷺ بشخصه الكريم بيننا لا يمنع إقامة هذا الدين في الأرض مرة أخرى، فالخصائص الرئيسية التي تحقق الوجود الإسلامي في عالم الواقع مستمدة بكاملها من القرآن والسنة، المحفوظين بقدر الله ﷻ ومشيئته: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾[4]، وفيهما كل المواد اللازمة لبناء الفرد المسلم والجماعة المسلمة والأمة المسلمة والدولة المسلمة، في أي عصر من عصور التاريخ يرغب المسلمون في البناء، ويعزمون على بذل الجهد اللازم له. وسيرته ﷺ بين أيدينا نقتبس منها النور.

---

[1] - سورة الفتح، الآية رقم ١٨

[2] - رواه مسلم، عن أبي هريرة، حديث رقم: ٢٥٤٠.

[3] - قطب، محمد. واقعنا المعاصر. طبعة دار الشروق، ص: ١٥.

[4] - سورة الحجر، الآية رقم: ٩

أما الذي صنعه الظرف الخاص بوجود النبي ﷺ بينهم فهو تلك الدرجة الفذة في تحقيق الخصائص الرئيسية للوجود الإسلامي، المستمدة كلها من الكتاب والسنة، والتي وُجدت – بقدر من الله ﷻ – لتظل نموذجا يشد المسلمين إليه ليحاولوا تحقيقه في عالم الواقع، حتى وإن لم يصلوا في مجموعهم إلى ذات الدرجة التي وصل إليها هؤلاء، فالتاريخ المشهود يقول إن أفرادا من كل جيل يصلون بالفعل إلى ذلك المستوى السامق الرفيع، أولئك الذين تتوهج قلوبهم بنور الإسلام، فيستطيعون أن يقبسوا من شخصية الرسول ﷺ وأحداث حياته مثل ما كان يقبس الصحابة رضوان الله ﷻ عليهم بالمعايشة المباشرة، وأن يحسوا – في أعماق نفوسهم – بالنشأة الجديدة على نحو ما أحس الذي عاشوها أول مرة، فينهلوا من الكتاب والسنة بمثل العمق الذي كان ينهل به الصحابة الكرام، ويحققوا في ذوات أنفسهم ما كانوا يحققون[1].

كما إن معايشة النبي ﷺ بالاطلاع على سيرته العطرة، يعتبر من أهم الأدوات التربوية، وقد كان الصحابة يعلمون أولادهم مغازي النبي ﷺ كما يعلمونهم الآية من القرآن، فقد كان ﷺ قرآنا يمشي على الأرض، بين الناس.

الملحوظة الثالثة: المجتمع المسلم يجمع بين الواقعية والمثالية، فهو وإن كان وصل لمستوى لم يصل إليه أي مجتمع في التاريخ، إلا إنه لم يفقد بشريته، فقد أقيمت فيه الحدود الشرعية، كحد الزنا، وحد القذف، وكانت به مشاكل من تلك التي يمكن أن تكون في أي مجتمع بشري، إلا إنها كانت في أقل حد ممكن في التاريخ البشري كله، ولم يكن أحد يجرؤ على أن يُظهر أي خروج عن عقيدة الإسلام، أو ما يطلبه من أعمال صالحة دينية أو دنيوية، وما كان لهؤلاء إلا النفاق، بإظهار الإيمان وإخفاء

[1] - واقعنا المعاصر، ص: ١٦-٢٦.

الكفر. وقد حكت لنا سورة النور، وأوضحت ذلك كله. فالشريعة الإسلامية تجمع بين مزايا الواقعية والمثالية، فهي تُصلح الواقع وتدفعه إلى المثالية المقدورة له، وتقبل منه ما ينسجم مع مبادئها وقيمها[١].

الملحوظة الرابعة: الإسلام لا يتصور الإنسان وحده، بل يتصوره في مجتمع، لذلك كانت التكاليف تأتي بصيغة الجماعة ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا**﴾، وذلك لأن تكاليف الإسلام تحتاج إلى التكاتف والتضامن في حملها والقيام بأعبائها، يستوى في ذلك العبادات والمعاملات. كما لا يُتصور أن تقوم الأخلاق – كما ينشدها الإسلام – إلا في ظلال مجتمع ملتزم بالإسلام، يتعبد لله ﷻ بإقامة حياته على أساس الإسلام [٢].

الملحوظة الخامسة: الاختلاف بين الجيل الأول وباقي الأجيال أن هذا الجيل كان يتلقى القرآن كما يتلقى الجندي في الميدان الأمر اليومي، ليعمل به فور تلقيه، فكانوا يتعلمون العلم والعمل معا. عكس غيرهم من الأجيال التي قد تأخذ القرآن الكريم كنوع من الترف العقلي والفكري، والجمال الموسيقي.

هذا ما دعانا لإبراز ملامح المجتمع المسلم كما صورتها سورة النور، حتى نستلهم منها ما يساعد الأمة الإسلامية بأجيالها المختلفة، للسير على المنهج نفسه، والمنوال عينه، عسى الله ﷻ أن يهديها سواء السبيل.

---

[١] - مركز قطر للتعريف بالإسلام ، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية – قطر. التعريف بالإسلام، ص: ٣٢٦.

[٢] - القرضاوي، يوسف. ملامح المجتمع المسلم الذي ننشده، إصدار: النادي الشبابي، ط: مكتبة وهبة، ١٤٣٢هـ - ٢٠١٢م ، ص: ٤.

النور في سورة النور

التعريف بسورة النور

سورة النور: مدنية بالإجماع [1]، ومن ثم فإن لها خصائص القرآن المدني، من حيث الحديث عن الأحكام والتشريعات، المتعلقة بالعبادة، والمعاملات، والحدود، وغيرها، وكذلك ذكر المنافقين [2]. وقد نزلت سورة النور في مرحلة متأخرة من حياة المسلمين في المدينة، في عهد النبي ﷺ، بعد أن استقر الإيمان في القلوب، واستعدت نفوس المسلمين لتقبل الأحكام التي وردت فيها، وتلقي وعد الله ﷻ. فقد نزلت بعد سورة الأحزاب بأشهر، في النصف الآخر من سنة ست من الهجرة، بعد غزوة بني المصطلق، التي وقعت ضمن وقائعها حادثة الإفك[3].

و"النور" كما هو اسم السورة التوقيفي الوحيد[4]، فهو أيضا عنوانها، ويمثل سمة دالة عليها[5]، وهو رسالة موجزة على رأس رسالة مفصلة، ويخدم مقاصدية المُرسِل ﷻ، – شأنه شأن النص – فمن ورائه قصد عميق يمثل محور السورة، وبؤرتها التي تدور حولها بقية القضايا في السورة، وتتمحور حوله كل الدلالات [6].

---

[1] - القرطبي: محمد بن أحمد (ت ٦٧١ هـ) الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، تحقيق: أحمد البردوني، إبراهيم أطفيش، ط: دار الكتب المصرية – القاهرة، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤م، ١٥٨/١.
[2] - البوطي: محمد سعيد رمضان، من روائع القرآن، ط: مؤسسة الرسالة – بيروت، ١٤٢٠ هـ، ١٩٩٩م، ص: ٨٦، القطان: مناع بن خليل (ت ١٤٢٠ هـ)، مباحث في علوم القرآن، ط: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ١٤٢١ هـ، ٢٠٠٠م، ص: ٦٣.
[3] - مسلم، مصطفى، وآخرون. التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، اصدار كلية الدراسات العليا والبحث العلمي – جامعة الشارقة ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م، ٥/ ١٦٥. نقلا عن السيرة النبوية لابن هشام: ٢٦٠/٤ ، والسيرة الحلبية: ٢٠٥/٢.
[4] - أسرار ترتيب القرآن، ص ٤١.
[5] - أسماء السور في القرآن الكريم - مقاربة لسانية سيميائية، ص ٤٣، ٤٧، ٧٠ البنية اللغوية في القرآن الكريم من خلال العنوان والاعتراض والفاصلة - دراسة دلالية نصية، ص: ٢٨.
[6]- وظائف العنوان النصية في القرآن الكريم السور المكية أنموذجا، ص ٢٤٥:٢٦٦.

فهو يعطي فكرة أولية عن مضمونها، ويصف النص بطريقة غير مباشرة، ويباشر الإيحاء بالمعنى، متكئا على ثقافة القارئ ومَلَكاته، ويغري القارئ، ويحفزه لقراءة النص، ويولد التساؤلات في ذهنه: لماذا هذا العنوان دون غيره؟ ما المقصود به؟ ما الميزة التي أهلته ليكون عنوانا؟ أهو حقيقي أم رمز معنى بعيد؟[١].

وقد سُميت السورة بهذا الاسم؛ لتنويرها طريق الحياة الاجتماعية الإسلامية الصحيح، وبيان النور المتمثل في الآداب والفضائل وتشريع الأحكام والقواعد[٢]، التي هي قبس من نور الله ﷻ على عباده، وفيض من فيوضاته[٣]. ولكثرة ذكر النور فيها.

أهمية سور النور وتَفرُّدها

سورة النور، لها شأن خاص عظيم، فهي السورة الوحيدة التي أفتتحها الله ﷻ بالثناء عليها، بقوله ﷻ: ﴿**سُورَةٌ أَنْزَلْناها وَفَرَضْناها وَأَنْزَلْنا فِيها آياتٍ بَيِّناتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**[٤]﴾ رغم أن كل سورة من سور القرآن الكريم هي أيضا سورة، وكل سورة أنزلها الله ﷻ وفرضها، وأوجب على المسلمين التعبد بآياتها، والعمل بأحكامها... وكل سورة

---

[١] - السلطاني: إيمان مطر مهدي، وظائف العنوان النصية في القرآن الكريم - السور المكية أنموذجا، بحث منشور في مجلة اللغة العربية وآدابها – جامعة الكوفة، ١٤٣٥ هـ ، ٢٠١٤م، ص ٢٤٨، ٢٥٢ وما بعدها.

[٢] - عثمان، عائشة شريف محمد أحمد. إصلاح الفرد في سورة النور: دراسة وصفية تحليلية. بحث منشور في مجلة معالم الدعوة الإسلامية المحكمة، العدد الثاني عشر – ربيع الثاني ١٤٤٢هـ/ ديسمبر ٢٠٢٠م، ص: ٢٢٨.

[٣] - الصابوني، محمد على. إيجاز البيان في سور القرآن. ط: مكتبة الغزالي ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م. ص: ١٠٢.

[٤] - سورة النور، الآية رقم: ١

فيها آيات بينات، للتذكر والتدبر.... وإنما كانت تلك الافتتاحية تنبيها للاهتمام الخاص بهذه السورة، والله أعلم[1].

ومطلع السورة الفريد في قوله ﷻ: ﴿**وَفَرَضْناها**﴾ المقصود به – فيما نعلم – توكيد فرضية كل ما في السورة (مما يتعلق به عمل) على درجة سواء، من العبادات، والآداب، والأخلاق، والحدود، والعقوبات[2].

وإذا كان الله ﷻ قد أشار في افتتاحية سورة إبراهيم إلى القرآن الكريم كله بقوله ﷻ: ﴿**الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ**[3]﴾، فإن سورة النور هي السورة الوحيدة في القرآن الكريم التي بدأت بقوله ﷻ: ﴿**سُورَةٌ أَنْزَلْناها**﴾، إشارة إلى السورة بمفردها، تلك السورة التي من خلال تطبيق أحكامها وتوجيهاتها، نصل لتحقيق هدف القرآن الكريم، المذكور في سورة إبراهيم: ﴿ **لِتُخْرِجَ النّاسَ مِنَ الظُّلُماتِ إلى النُّورِ بِإذْنِ رَبِّهِمْ إلى صِراطِ العَزِيزِ الحَمِيدِ** ﴾ [4] .

بل إن التنويه بالأهمية حصل بمُجمل السورة أولا، بقوله ﷻ: ﴿**سُورَةٌ أَنْزَلْناها**﴾، ثم بكل جزء منها ثانيا، بقوله ﷻ: ﴿**وأَنْزَلْنا فِيها آياتٍ بَيِّناتٍ**﴾، فَهُوَ تَنْوِيهٌ آخَرُ بِهَذِهِ السورة ... تَنْوِيهٌ بِكُلِّ آيَةٍ اشتملت عليها السورة :من الهدي إلى التوحيد، وحَقِّيَّةُ الإسلام، ومن حجج وتمثيل، وما في دلائل صنع الله ﷻ على سعة قدرته وعلمه وحكمته، وهي ما أشار إليه قوله ﷻ: ﴿ **وَلَقَدْ أَنْزَلْنا إلَيْكُمْ آياتٍ مُبَيِّناتٍ وَمَثَلًا مِنَ**

---

[1] - الخطيب: عبد الكريم يونس (ت بعد ١٣٩٠ هـ)، التفسير القرآني للقرآن، ط: دار الفكر العربي – القاهرة، ١١٩٩/٩.

[2] - قطب، سيد. في ظلال القرآن، ط: دار الشروق، ٢٤٨٧/٤.

[3] - سورة إبراهيم، الآية رقم: ١

[4] - سورة إبراهيم، الآية رقم: ١

الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ[1]﴾ ، وقوله ﷻ: ﴿ **أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحاباً .... صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ**[2]﴾ . ومن الآيات البينات التي أُنزلت فيها: إطلاع الله ﷻ رسوله ﷺ على دخائل المنافقين مما كتموه في نفوسهم، من أول قوله ﷻ: ﴿**وَإِذا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ**[3]﴾، إِلَى قَوْلِهِ ﷻ: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِما تَعْمَلُونَ**[4]﴾[5].

بل إن في هذه السورة كل مقاصد القرآن الكريم، من تصحيح العقائد والتصورات، وتقرير كرامة الإنسان وحقوقه، وعبادة الله ﷻ وتقواه، وتزكية النفس البشرية، وتكوين الأسرة وإنصاف المرأة، وبناء الأمة الشهيدة على البشرية، والدعوة إلى عالم إنساني متعاون[6].

والسورة قد تفردت بأروع التصوير، والتمثيل، والتشريع، والإنذار، والتبشير، والتأديب. وكل مقطع له نكهة خاصة، وله بداية ونهاية خاصتان، وفي كل مقطع جمال وجلال وأسرار.... إنها سورة اجتمع فيها من الأناقة والرشاقة في اللفظ والموضوع والتسلسل والتوجيه ما هو النموذج لإدراك أن هذا القرآن آيات بينات[7].

وإلى جانب تفردها ببعض الأحكام: كأحكام الزيارة، والاستئذان، واللباس والزينة للنساء، وتشريع حد الزنا، وذكر قصة حادثة الإفك، فقد اجتمعت أيضا في هذه السورة

---

[1] - سورة النور، الآية رقم: ٣٤

[2] - سورة النور، الآيات ٤٣-٤٦

[3] - سورة النور، الآية رقم: ٤٨

[4] - سورة النور، الآية رقم: ٥٣

[5] - ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير. ط: الدار التونسية للنشر – تونس ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م، ١٤٣/١٨.

[6] - القرضاوي، يوسف. كيف نتعامل مع القرآن العظيم. ط: دار الشروق، ١٤١٤٩هـ - ١٩٩٩م، ص: ١٢٣:٧١

[7] - حوى، سعيد (ت١٤٠٩هـ) . الأساس في التفسير. ط: دار السلام – القاهرة، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، ٣٦٨١/٧.

خصائص القرآن كلها على أوضح ما يكون ذلك، ففيها البيان، وفيها المَثَل، وفيها الموعظة، وفيها الهداية، وفيها الحق، والعدل، وفيها الحكم التكليفي، وفيها التعليل، وفيها التذكير، إلى غير ذلك مما هو من خصائص القرآن[1].

وسورة النور، كما إنها تنير طريق الحياة الاجتماعية الإسلامية الصحيحة، تهتم أيضا اهتماما خاصا بإصلاح الفرد إصلاحا شاملا، يجعل منه إنسانا صالحا، ليقوم بمهمة الاستخلاف في الأرض وإعمارها[2].

محور سورة النور

يشير مصطلح "محور موضوع ما" إلى الفكرة المركزية، والنزعة الرئيسية، التي تدور حولها ثنايا وجزئيات هذا الموضوع، والتي ترتبط بها القضايا والمشكلات المثارة فيه، وترجع إليها كل الأفكار الفرعية فيه، وتؤدي نفس المعنى، والغرض، وإن اختلفت الألفاظ، والتعبيرات [3]. ومحور سورة النور، كما يرى صاحب الظلال، هو: "التربية التي تشتد في وسائلها إلى درجة الحدود، وترق إلى درجة اللمسات الوجدانية الرقيقة، التي تصل القلب بنور الله ﷻ وبآياته المبثوثة في تضاعيف الكون وثنايا الحياة" [4].

ويرى الأستاذ سعيد حوى أن محور سورة النور، هو: ترسيخ مفهوم الإسلام الكامل، المُعبَر عنه بقوله ﷻ في سورة البقرة: ﴿**يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا في السِّلْمِ كافَّةً وَلا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ* فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ ما جاءَتْكُمُ الْبَيِّناتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾ [5].

---

[1]- المرجع السابق ٣٨٢٨/٧.
[2] - إصلاح الفرد في سورة النور (دراسة وصفية تحليلية)، ص: ٢٢٢.
[3]- معجم اللغة العربية المعاصرة، ٥٨٠/١ ، تهذيب اللغة، ١٤٩/٥ ، الدر النقي في شرح ألفاظ الخرقي، ١١٢/١.
[4] - في ظلال القرآن، ٢٤٨٦/٤.
[5] - البقرة ٢٠٨، ٢٠٩.

فكل ما في سورة "النور" من: حدود، وأحكام، وآداب، وإيمانيات، يدخل في معنى الإسلام الكامل، المُعبر عنه في سورة البقرة، بقوله ﷻ: ﴿**السِّلْمِ كَافَّةً**[1]﴾. كما حذرت السورة من اتباع ﴿**خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ**﴾ [2]، وتبين السورة أنواع الزلل، وتعالجها إذا وقعت، فنتعرف على اسم الله (العزيز) من خلال الأحكام والعقوبات، ونتعرف على اسم الله (الحكيم) في كل ما شرع[3].

أي أن محور السورة يدور حول المنهج الرباني النوراني، وكيف يحيا المجتمع المسلم به، ليكون ربانيا نورانيا، في كل شأن من شؤون حياته العامة والخاصة، الديني منها والدنيوي، الدقيق منها والعظيم، ما كان منها في السر أو العلانية.

نور المنهج الرباني للمجتمع الرباني

إن وظيفة النور الرباني الإلهي المحسوس بعين البصر (الشمس): مساعدة الإنسان، (الخليفة في الأرض)، على رؤية الأشياء على حقيقتها، ليعرف خيرها من شرها[4]، فيأخذ خير الأشياء، ويتجنب شرها. وهذا النور الرباني المحسوس يُغْني عما سواه من أنوار البشر الاصطناعية[5]. وكذلك النور المعنوي، وهو نور المنهج الرباني، المكتسب من وحي الله ﷻ، (القرآن الكريم) [6]، وظيفته معرفة الحق على ما هو عليه، بما يغني عن مناهج البشر[7]، التي هي في حقيقتها ظلمات، لا تهدي إلا إلى الضلال والخسران؛

---

[1] - سورة البقرة، الآية رقم: ٢٠٨

[2] - سورة النور، الآية رقم: ٢١

[3] - الأساس في التفسير، ٣٧٩٦/٧.

[4] - ابن منظور: جمال الدين محمد بن مكرم بن على (ت ٧١١هـ)، لسان العرب، مع حواشي لليازجي وجماعة من اللغويين، ط: دار صادر - بيروت،١٤١٤ هـ، ٢٤١/٥.

[5]- الشعراوي، محمد متولي (ت ١٤١٨هـ). تفسير الشعراوي – الخواطر. ط: مطابع أخبار اليوم، ١٠١٨٥/١٦.

[6] - التحرير والتنوير، ٢٤٢/١٨.

[7] - تفسير الشعراوي، ١٠١٨٥/١٦.

كالمعتقدات الباطلة، والمذاهب الزائفة، والأهواء. وقد حكم الله ﷻ على ذلك كله بالظلام والضلال، قال ﷻ:﴿ **ظُلُماتٌ بَعْضُها فَوْقَ بَعْضٍ إذا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَراها** ﴾[١].

والحق ﷻ يفيض من أنواره وصِفات كماله على خَلْقه الذين جعلهم خلفاء له في الأرض (الأجيال المتعاقبة)[٢]، ويريد من خليفته في أرضه أن يكون جِماعاً لصفات الكمال التي تسعد الخَلْقَ بآثار الخالق فيهم، وهذه هي الخلافة الحقة[٣].

والمجتمع المسلم مجتمع متميز عن غيره من المجتمعات، سواء بمكوناته أو بخصائصه. فهو مجتمع رباني، إنساني، أخلاقي، متوازن. والتزام المجتمع المسلم، بهذا المنهج النوراني الكامل الشامل، الذي بينته سورة النور بجلاء، هو السبيل ليتحقق للمجتمع المسلم، وعد الله ﷻ، بالاستخلاف في الأرض، وتمكين الدين في القلوب وواقع الحياة، والأمن الشامل، المذكور في هذه السورة المباركة، والذي من خلاله تقيم الأمة حضارتها الحديثة، المرتكزة على العقيدة، وتعود كما كانت، خير أمة أخرجت للناس، وتكون شاهدة على غيرها من الأمم، في الدنيا قبل الآخرة[٤].

ففي هذا المجتمع يُمَكِّن المسلمون لدينهم، ويجسدوا فيه شخصيتهم، ويحيوا فيه حياة إسلامية متكاملة: توجهها العقيدة الإسلامية، وتزكيها العبادات الإسلامية، وتقودها المفاهيم الإسلامية، وتجملها الآداب الإسلامية، وتهيمن عليها القيم الإسلامية، وتحكمها التشريعات الإسلامية، وتوجه اقتصادها وفنونها وسياستها: التعاليم الإسلامية، ولا يقتصر تطبيق الشريعة فيه على الجانب القانوني كالعقوبات والحدود،

---

[١] ــ سورة النور، الآية رقم: ٤٠

[٢] - تفسير الشعراوي، ١٠١٨٦/١٦.

[٣] - المرجع السابق، ١٠١٨٧/١٦.

[٤] - شرحنا هذا الموضوع في كتابنا السابق: متى يتحقق وعد الله للأمة الإسلامية.

ولا يختصر فيه مفهوم الشرع في جانب واحد من التشريع: هو التشريع الجزائي، أو الجنائي[1].

الخلاصة

سورة النور سورة المنهج الرباني النوراني للمجتمع الرباني، والسورة قد أظهرت بجلاء ملامح المجتمع المسلم المستحق لوعد الله ﷻ، هذه الملامح التي يجب أن تكون ملامح كل مجتمع مسلم يسعى للموعدة بهذا الوعد الإلهي.

---

[1] - ملامح المجتمع المسلم الذي ننشده، ص: ٥.

مجتمع الإيمان والعمل الصالح

مجتمع مصبوغ بصبغة الله ﷻ

انصبغ المجتمع المسلم الأول، بصبغة الله ﷻ ﴿**وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً**﴾ [١].
والصبغة هي إدخال لون على شيء بحيث يغيره بلون آخر، فتنفذ الصبغة في دقائق ومسام المصبوغ، فتتخللها حتى يكون الظاهر والباطن والدقائق لها لون الصبغة نفسه. وتزداد الصبغة عمقا وثباتا كلما زاد زمن الانغماس فيها. أما الطلاء فهو طبقة خارجية يمكن إزالتها. والإيمان وملة إبراهيم وما أنزل الله ﷻ على رسله هي الصبغة الإلهية التي جعلها الله ﷻ في خلايا القلب ساعة الخلق كفطرة يولد بها الإنسان، وتتغلغل في الجسد البشري كله. وهذا هو الفرق بينه إيمان المسلمين وإيمان غيرهم الذي لا يزيد عن طلاء خارجي، لا يعكس حقيقة الباطن[٢].

وبحسن طاعتهم لله ﷻ ولرسوله ﷺ، وعداوتهم للشيطان، ومخالفتهم لهوى النفس، انصبغ مسلمو الجيل الذهبي الأول (كأفراد وكمجتمع) بهذه الصبغة، وانغمسوا فيها بكليتهم ظاهرا وباطنا.... طائعين لأوامر الله ﷻ...... منتهيين عن نواهيه... مندفعين بترغيبه.... منزجرين بزواجره... مستجيبين لتربيته لهم منتفعين بها... في خاصة نفس الفرد المسلم.... ومتوسطة أمر الأسرة.... وعامة أمور المجتمع.

---

[١] - سورة البقرة، الآية رقم: ١٣٨
[٢] - تفسير الشعراوي، ٦١٣،٦١٢/١.

مجتمع الإيمان

لقد نما إيمانهم، وهم يستقبلون بأسماعهم وقلوبهم أسماء الله الحسنى وصفاته العلى التي ذخرت بها السورة ويتشبعون بمعانيها في قلوبهم، ثم تفيض على جوارحهم: **﴿ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيم ﴾، ﴿ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴾، ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾، ﴿ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾، ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾، ﴿ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ﴾، ﴿ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾،﴿ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾، ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ﴾، ﴿وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾، ﴿وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾، ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾.**

فمعرفة أسماء الله الحسنى وصفاته العلى وتحصيلها في القلوب، يجعلها تمتلئ بأجل المعارف: تعظيما لله ﷻ وإجلالا له.... محبة لله ﷻ وشوقا له.... وحمدا له وشكرا.... وخضوعا لله ﷻ وخشوعا وانكسارا بين يديه... ومراقبة لله ﷻ في الحركات والسكنات..... وحراسة للخواطر عن الأفكار الردية والإرادات الفاسدة.... وافتقارا واضطرارا إليه..... والتفاتا إليه ﷻ كل وقت في كل حال[1].

والحق ﷻ جعل له خليفة في الأرض لتظهر عليه سمات قدرته ﷻ وصفات كماله، فالله ﷻ قادر، عالم، حكيم، غني، رحيم، غفور... وهو ﷻ يعطي من صفاته ويفيض منها على خلقه وخليفته في أرضه بعضا من هذه الصفات: كالقدرة، والرحمة، والغنى، والعفو؛ ليستعملها وفق مراده ﷻ[2].

---

[1] - البدر، عبد الرزاق بن عبد المحسن. فقه الأسماء الحسنى. ط: دار التوحيد للنشر – الرياض، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م، ص: ٨،٧.
[2] - تفسير الشعراوي، ١٠١٨٦/١٦.

والحق ﷻ يريد من خليفته في أرضه أن يكون جِماعاً لصفات الكمال التي تسعد الخَلْقَ بآثار الخالق فيهم، وهذه هي الخلافة الحقة[1].

ولقد امتلأت قلوبهم محبة، وشوقا، وخشية، ورغبة فيما عند الله ﷻ ، وهم يتلقون هكذا آيات : ﴿إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾، ﴿وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾، ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُواْ﴾، ﴿وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ﴾، ﴿يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثۡلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡغَٰفِلَٰتِ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾، ﴿يَوۡمَئِذٖ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلۡحَقَّ وَيَعۡلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ ٱلۡمُبِينُ﴾، ﴿رِجَالٞ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوۡمٗا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلۡقُلُوبُ وَٱلۡأَبۡصَٰرُ لِيَجۡزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦۗ وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾.

لقد استوعبوا الفرق بين المؤمن الحق قوي الإيمان الذي يطيع الله ﷻ ورسوله ﷺ ، وبين ضعيف الإيمان أو المنافق والذي في قلبه مرض: ﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعۡنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٞ مِّنۡهُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَۚ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ * وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُم مُّعۡرِضُونَ * وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلۡحَقُّ يَأۡتُوٓاْ إِلَيۡهِ مُذۡعِنِينَ * أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرۡتَابُوٓاْ أَمۡ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَرَسُولُهُۥۚ بَلۡ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ * إِنَّمَا كَانَ قَوۡلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ

[1] - تفسير الشعراوي، ١٠١٨٧/١٦.

إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ أَن يَقُولُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ * وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخۡشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقۡهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴾[1].

وتعلموا معنى الولاء والبراء؛ فالولاء: هو المحبة والنصرة لأهل الإيمان واتباع دين الله ﷻ ، والالتزام بالتضامن معهم، والبراء: هو البراءة من أعداء الله ﷻ، وترك ما يخالف تعاليم الإسلام من أعمال وأشخاص.

تعلموا أن المؤمن يجب أن يحسن الظن بنفسه وإخوانه. ﴿**لَّوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ ظَنَّ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمۡ خَيۡرٗا وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفۡكٞ مُّبِينٞ**﴾[2].

آمنوا أنه لا يحدث في كون الله ﷻ إلا ما يشاء وبقدرته، ﴿**إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِير**﴾[3].

تعلموا أن الإسلام دين الفطرة ينظمها ويطهرها ويرفعها عن المستوى الحيواني، ويرقيها حتى تصبح المحور الذي يدور عليه الكثير من الآداب النفسية والاجتماعية، لذلك أباح الزواج وحرم الزنا والإكراه عليه. ﴿ **وَلَا تُكۡرِهُواْ فَتَيَٰتِكُمۡ عَلَى ٱلۡبِغَآءِ إِنۡ أَرَدۡنَ تَحَصُّنٗا لِّتَبۡتَغُواْ عَرَضَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ** ﴾[4].

---

[1] - سورة النور، الآيات: ٤٧-٥١
[2] - سورة النور، الآية رقم: ١٢
[3] - سورة النور، الآية رقم: ٤٥
[4] - سورة النور، الآية رقم: ٣٣

تعلموا عدم الرأفة أو الرفق في تنفيذ الحدود الشرعية التي تقي الفرد والمجتمع الشرور وأن ذلك من الإيمان. ﴿ **ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٖۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٞ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِۖ** ﴾[1].

علموا أن الله ﷻ يريد بهم اليسر ولا يريد بهم العسر وأن الإسلام هو الدين السماحة واليسر ورفع الحرج: ﴿ **لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٞ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٞ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٞ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُواْ مِنۢ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمْ ...... لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ** ﴾[2].

لقد تغلغلت في قلوبهم كراهية الشيطان وما يدعو إليه ويأمر به، فاتخَذوه عدوا، ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ** ﴾[3].

مجتمع العمل الصالح

لقد تربوا عمليا على أن الإيمان: تصديق بالجنان، وقول باللسان، وعمل بالجوارح والأركان. فلا يصح أن يقول أحد أنه مؤمن بقلبه، ولا يظهر هذا الإيمان على أقواله وأفعاله، أو لا ينطبع ظاهره وباطنه به، أو يكون سره مخالفا علانيته، فالعمل الصالح يشمل كل الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة. ومن ذلك: وجوب اتباع النبي ﷺ واعطاؤه حقه من التبجيل والتوقير والطاعة.

---

[1] - سورة النور، الآية رقم: ٢
[2] - سورة النور، الآية رقم: ٦١
[3] - سورة النور، الآية رقم: ٢١

تربوا عمليا على أن الإسلام كامل؛ فهو عقيدة وإيمان، شعائر وعبادات، وفضائل وأخلاق، وشرائع ومعاملات. وتربوا على أن هذا الكمال يستلزم التكامل، فلا يجوز أخذ جزء وترك أخر، بل يؤخذ الإسلام كله، بعقائده وشعائره، وأخلاقه، ومعاملاته. وتربوا على أن الإسلام شامل: يشمل الزمان كله، والمكان كله، والأحوال كلها. ويشمل كيان الإنسان كله: قلبه، وعقله، وروحه، وجوارحه، ومشاعره، وأفكاره.

لقد استوعبوا نظريا وعمليا أن انصباغ مجتمعهم بالإيمان والعمل الصالح سبيل الخلافة الحقة، والرقي الحضاري العقائدي الشاهد على الأمم: ﴿ **قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ**﴾[١].

وبالعموم فإن مطلع السورة الفريد في قوله ﷻ: ﴿**وَفَرَضْناها**﴾ المقصود به – فيما نعلم – توكيد فرضية كل ما في السورة (مما يتعلق به عمل) على درجة سواء، من العبادات، والآداب، والأخلاق، والحدود، والعقوبات، فكل ذلك يدخل تحت بند العمل الصالح.

الخلاصة

انصبغ مسلمو الجيل الأول (الأفراد والمجتمع)، بصبغة الله ﷻ في ظاهرهم وباطنهم، وسرهم وعلانيتهم. فمجتمعهم كان يقوم على عقيدة وفكرة (أيديولوجية) خاصة. منها تنبثق نظمه أو أحكامه وآدابه وأخلاقه. هذه العقيدة أو الفكرة (الأيديولوجية) هي

[١] - سورة النور، الآية رقم: ٥٥

الإسلام، وهذا هو معنى تسميته (المجتمع الإسلامي) فهو مجتمع اتخذ الإسلام منهجا لحياته ودستورا لحكمه، ومصدرا لتشريعه وتوجيهه في كل شؤون الحياة وعلاقاتها، فردية واجتماعية، مادية ومعنوية، محلية ودولية[١]. والمجتمع المسلم يتخذ من الشيطان عدوا، يبادله العداوة ويسعى لإرضاء ربه بإغضاب الشيطان.

---

[١] - القرضاوي، يوسف. غير المسلمين في المجتمع الإسلامي، ط: مكتبة وهبة، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م، ص: ٥.

مجتمع المنهج الإسلامي الكامل

أولا – مجتمع رباني

الربانية: من خصائص المنهج الإسلامي، بل هي أم الخصائص كلها وأصل لها، والمراد: ربانية المصدر فهو من عند الله ﷻ ، وقد بلغنا الإسلام عنه الرسول ﷺ، وربانية الغاية أو الوجهة، وهي حسن الصلة بالله ﷻ، والحصول على رضاه[1].

وكل ما في السورة من شعائر وآداب وأخلاق، وغير ذلك كله يؤكد هذه الخاصية، فما فيها من آيات ﴿ **نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ** ﴾ أنزله ﴿**نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ**﴾ الذي ﴿ **يَهْدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ** ﴾ ،وقد بعث نبيه ﷺ بهذا النور ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، فمن اتبعه وأطاعه اهتدى وكان من الفائزين ﴿ **إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ * وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ**﴾[2] ، ﴿ **وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ** ﴾[3].

ثانيا – مجتمع الإسلام الكامل

الكمال: هو التمام والالتئام بين أجزاء الشيء، وخلوها من النقص والعيب، والإسلام الكامل يتكون من الاعتقاد والعمل، حيث يتناول الجوانب الثلاثة، العقيدة والشريعة والأخلاق، ويوفيها حقها، وهذه الجوانب كلها متناسقة وملتئمة فيما بينها، خالية من

---

[1] - التعريف بالإسلام، ص: ٣٢١. (بتصرف)
[2] - سورة النور، الآية رقم: ٥١
[3] - سورة النور، الآية رقم: ٥٤

كل نقص وعيب[1]، قال ﷻ: ﴿ **اليومَ أكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وأَتْمَمْتُ علَيْكُم نِعْمَتي ورَضِيتُ لَكُمُ الإسْلَامَ دِينًا** ﴾[2].

وهو مجتمع السماحة واليسر ورفع الحرج: وهذا الأمر يسرى في جسم الشريعة كلها، كما تسري العصارة في أغصان الشجرة الحية. ومن الآيات الدالة على ذلك في سورة النور: قوله ﷻ: ﴿ **وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتِۭ بِزِينَةٍۖ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُواْ مِنۢ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوْ صَدِيقِكُمْۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُواْ جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًاۚ** ﴾[3]. فقد يسر على القواعد من النساء، كما رفع الضيق عن الأعمى والأعرج والمريض، في أمر الجهاد، بسبب أعذارهم.

١ – مجتمع إقامة الشعائر والعبادات

المقوم الثاني للمجتمع المسلم – بعد العقيدة – هو الشعائر التي فرضها الله ﷻ على المسلمين، وكلفهم القيام بها، ليتقربوا بها إليه، ويبتغوا بها رضوانه، ويربحوا مثوبته، ويعبروا بها عن حقيقة إيمانيهم به، ويقينهم بلقائه وحسابه. وأظهر هذه الشعائر أركان الإسلام الأربعة بعد الشهادتين، وهي التي خصها الفقهاء باسم (العبادات). وسميت

---

[1] - التعريف بالإسلام، ص: ٣٢١. (بتصرف)
[2] - سورة المائدة، الآية رقم: ٣
[3] - سورة النور، الآية رقم: ٦٠،٦١

شعائر لأنها علامات فارقة وظاهرة، تتميز بها حياة الفرد المسلم من غير المسلم، كما تتميز بها حياة المجتمع المسلم من غير المسلم. وإقامة هذه الشعائر وتعظيمها دليل على قوة العقيدة في القلوب، واستقرارها في حنايا الصدور[1]، قال ﷻ: ﴿ **ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ**﴾[2]. ويرى العلامة الإمام يوسف القرضاوي أن فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وفريضة الجهاد في سبيل الله جديرتان أن تُعدا من دعائم الإسلام وشعائره الكبرى، فقد أكد الإسلام أمرهما، وشدد الحث عليهما، ونوه بمنزلتهما عند الله ﷻ.

أ- الصلاة

بينت سورة النور اهتمام الفرد المسلم في المجتمع المسلم بهذه الشعائر، قال ﷻ: ﴿ **فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآَصَالِ * رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ * لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ**﴾[3]، وقال أيضا: ﴿ **وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآَتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**﴾[4].

والصلاة – كما شرعها الإسلام – ليست مجرد صلة روحية في حياة المسلم؛ إنها – بما سُنَّ لها من الآذان والإقامة، وما شُرِع لها من التجمع والانتظام، وما أقيم لها من بيوت الله ﷻ، وما اشترط لها من النظافة والطهارة، وأخذ الزينة، واستقبال القبلة،

[1] - ملامح المجتمع المسلم الذي ننشده، ص: ٤٣.
[2] - سورة الحج، الآية رقم: ٣٢
[3] - سورة النور، الآيات ٣٦-٣٨
[4] - سورة النور، الآية رقم: ٥٦

وتحديد المواقيت، وما وجب فيها من حركات وتلاوة، وأقوال وأفعال، تفتتح بالتكبير، وتختتم بالتسليم – بهذا كله أصحبت أكثر من عبادة مجردة، إنها نظام حياة، ومنهج تربية، وتعليم متكامل، يشمل الأبدان والعقول والقلوب. فالأبدان تنظف وتنشط، والعقول تتعلم وتتثقف، والقلوب تتزكى وتتطهر. فالصلاة تطبيق عملي لمبادئ الإسلام السياسية والاجتماعية المثلى، فتحت سقف المسجد تتجلى معاني الإخاء والمساواة والحرية، وتبرز معاني الجندية المؤمنة، والطاعة المبصرة، والنظام الجميل[١].

وقد امتازت الصلاة الإسلامية بالجماعة، كما امتازت بالأذان. فالجماعة في الصلاة إما فرض كفاية، كما يقول أكثر الأئمة، وإما فرض عين، كما يقول الإمام أحمد.[٢]

ب– الزكاة

أما الزكاة فهي الشعيرة الثانية بعد الصلاة. وإذا كانت الصلاة هي العبادة البدنية الروحية، فإن الزكاة هي العبادة المالية الاجتماعية، لذلك يُشترط فيها النية والإخلاص، فلا تقبل زكاة إلا بنية التقرب إلى الله ﷻ. وهي ليست مجرد إحسان موكول إلى إيمان الفرد وضميره، ولكنها ضريبة وعبادة يحرسها إيمان الفرد، ورقابة الجماعة، وسلطان الدولة، حيث الأصل فيها أن تؤخذ بواسطة الإمام والسلطات الشرعية (في الدولة المسلمة) عن طريق جهاز إداري مخصوص (العاملين عليها)، ولها مصارف محددة. فهي ليست تبرعا اختياريا متروكا لضمائر الأشخاص[٣].

---

[١] - ملامح المجتمع المسلم الذي ننشده، ص: ٤٧،٤٨.
[٢] - المرجع السابق، ص: ٤٦.
[٣] - المرجع السابق، ص: ٥٢.

ج- الجهاد

إن سبب نزول آيات حادثة الإفك كان بسبب الأحداث التي حصلت عند الرجوع من غزوة بني المصطلق (غزوة المريسيع)، وقد سميت غزوة بني المصطلق اعتباراً لمن غزاهم النبي[1]، وسميت بغزوة المريسيع؛ لأن الماء الذي نزل عليه هذا الحي يسمى بماء المريسيع، وقد كانت سنة ستٍ من الهجرة، كما قاله بعض أهل السِيَر.

وقوله ﷻ: ﴿ **وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ**﴾[2] كان سبب نزوله الشدة التي كان يلاقيها المسلمون بسبب الاستعداد الدائم لملاقاة الأعداء في الداخل أو الخارج في كل لحظة حتى من الله ﷻ عليهم بهذا الوعد، فوضعوا السلاح واطمأنوا.

وقوله ﷻ: ﴿**لَّيۡسَ عَلَى ٱلۡأَعۡمَىٰ حَرَجٞ وَلَا عَلَى ٱلۡأَعۡرَجِ حَرَجٞ وَلَا عَلَى ٱلۡمَرِيضِ حَرَجٞ** ﴾[3] تخفيف عن هؤلاء ورفع الضيق عنهم في التخلف عن الجهاد مع المؤمنين، وشهود الحرب معهم إذا هم لقوا عدوهم، للعلل التي بهم، والأسباب التي تمنعهم من شهودها[4].

---

[1] - الشنقيطي، محمد بن محمد المختار. تفسير سورة النور، تفريغ دروس صوتية – المكتبة الشاملة، ٤/ ٢.

[2] - سورة النور، الآية رقم: ٥٥

[3] - سورة النور، الآية رقم: ٦١

[4] - الطبرى، محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ). جامع البيان عن تأويل القرآن أو تفسير الطبري، ط: دار التربية والتراث – مكة المكرمة، ٢٢٢/٢٢.

وقوله ﷻ: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ ﴾[1] المقصود بالأمر الجامع هنا هو: أمر يجمع جميعهم من حرب حضرت، أو صلاة اجتمع لها، أو تشاور في أمر نزل[2].

ء- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

قوله ﷻ: ﴿ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ * وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ * وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾.

الاستخلاف في الأرض مشروط بشرط القيام بما أومروا به من الاعمال الصالحة ومن أهم الأمور: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وتمكين الدين لا يتم الا بفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. والعبادة الخالصة لله ﷻ ودفع المنكرات والشرك والبدع لا يتم إلا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وطاعة الرسول ﷺ تشمل طاعته في كل ما أمر، ومن ذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٢ – مجتمع الأفكار والمفاهيم الإسلامية

كما يتميز المجتمع المسلم بعقائده وشعائره، يتميز كذلك بأفكاره ومفاهيمه وتصوراته، التي تحدد وجهة نظره إلى الأشياء والأحداث والأشخاص والمواقف، والقيم والعلاقات، فهو لا يحكم على كل هذه الأمور إلا من زاوية الإسلام. وقد حرص الإسلام منذ

---

[1] - سورة النور، الآية رقم: ٦٢.

[2] - تفسير الطبري، ٢٢٨/١٩.

طلوع فجره على أن يصحح مفاهيم أبنائه، حتى تستقيم نظرتهم إلى الأمور والمواقف، ويتحد تصورهم العام للأشياء والقيم[1].

فأفكار الإسلام ومفاهيمه وتصوراته هي التي تعمل وحدها في المجتمع المسلم، وتسيطر على عقول بنيه، وتوجه أدبه وفنه، وثقافته وإعلامه، وتربيته وتعلميه[2].

ومن هذه المفاهيم والتصورات في سورة النور بما يسعه المقام:

١- الأمور التي يفرضها الله ﷻ، واجبة التطبيق والعمل: ﴿ **سُورَةٌ أَنزَلْنَٰهَا وَفَرَضْنَٰهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ** ﴾[3].

٢- يغفر الله ﷻ بالتوبة للمذنب إذا أتى التوبة بشروطها: ﴿ **إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾[4].

٣- ضرورة التثبت قبل نقل الأخبار حفظا للعرض والكرامة: ﴿ **إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ** ﴾[5].

٤- حب إشاعة الفاحشة جريمة اجتماعية لا تقل عن فعلها: ﴿ **إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِي ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ** ﴾[6].

---

[1] - ملامح المجتمع المسلم الذي ننشده، ص: ٦١.
[2] - المرجع السابق، ص: ٦٦.
[3] - سورة النور، الآية رقم: ١
[4] - سورة النور، الآية رقم: ٥
[5] - سورة النور، الآية رقم: ١٥
[6] - سورة النور، الآية رقم: ١٩

٥- قد يكون ظاهر الابتلاء شر، لكن حقيقته خير: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٞ مِّنكُمۡۚ لَا تَحۡسَبُوهُ شَرّٗا لَّكُمۖ بَلۡ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ ﴾[١].

٦- ما عظمه الله ﷻ فهو عظيم وما حقره فهو حقير: ﴿ وَتَحۡسَبُونَهُۥ هَيِّنٗا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٞ ﴾[٢].

٧- الشيطان عدو الإنسان، لا يريد له الخير، ولا يأمره إلا بالفحشاء والمنكر: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۚ ﴾[٣].

٨- التفرقة بين نظام البيوت ونظام الأماكن العامة، فالأولى يلزمها الاستئذان عكس الثانية: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ * فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فِيهَآ أَحَدٗا فَلَا تَدۡخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤۡذَنَ لَكُمۡۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرۡجِعُواْ فَٱرۡجِعُواْۖ هُوَ أَزۡكَىٰ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ * لَّيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ مَسۡكُونَةٖ فِيهَا مَتَٰعٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا تَكۡتُمُونَ ﴾[٤].

٩- حفظ الفرج هو الثمرة الطبيعية لغض البصر: ﴿ قُل لِّلۡمُؤۡمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِمۡ وَيَحۡفَظُواْ فُرُوجَهُمۡۚ ﴾[٥]، ﴿ وَقُل لِّلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَغۡضُضۡنَ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِنَّ وَيَحۡفَظۡنَ فُرُوجَهُنَّ ﴾[٦].

---

[١] - سورة النور، الآية رقم: ١١
[٢] - سورة النور، الآية رقم: ١٥
[٣] سورة النور، الآية رقم: ٢١
[٤] - سورة النور، الآية رقم: ٢٧-٢٩
[٥] - سورة النور، الآية رقم: ٣٠
[٦] - سورة النور، الآية رقم: ٣١

١٠- النور المعنوي هو نور المنهج الإلهي، الذي يهدي الفرد والمجتمع إلى الحق، وهو البيان الذي تتضح به طريق الحياة الإسلامية، في مقابل الظلمات والضلالات، وهذا النور نور إلهي: ﴿ **ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ**﴾ الذي ﴿ **يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ**﴾.

١١- المساجد بيوت الله ﷻ مطهرة رفيعة، واجبة الاحترام: ﴿ **فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ وَيُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ**﴾[١].

١٢- طاعة الله ﷻ ورسوله ﷺ واجبة وهي دليل الإيمان الحق: ﴿ **إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ**﴾[٢].

١٣- المجتمع المسلم مجتمع متراحم متعاون متسامح لا يُقصي أحدا، فالرحمة والتكافل الاجتماعي سمة من سماته: ﴿ **وَلَا يَأۡتَلِ أُوْلُواْ ٱلۡفَضۡلِ مِنكُمۡ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤۡتُوٓاْ أُوْلِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٌ** ﴾[٣]، ﴿ **وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ**﴾[٤].

٣ – مجتمع المشاعر والعواطف الإسلامية

يتميز المجمع المسلم بما يسوده من مشاعر وعواطف، فالمجتمع المسلم كل ولاءه للإسلام وأهله وأنصاره، وكل عداءه لأعداء الإسلام ومحاربيه، وهذا مبني على فكرة الولاء لله ﷻ ورسوله ﷺ، ومن اتخذ الله ﷻ وليا فقد اتخذ عدوه عدوا[٥].

---

[١] - سورة النور، الآية رقم: ٣٦
[٢] - سورة النور، الآيات: ٥١-٥٢
[٣] - سورة النور، الآية رقم: ٢٢
[٤] - سورة النور، الآية رقم: ٥٦
[٥] - ملامح المجتمع المسلم الذي ننشده، ص: ٧٥

وسورة النور تربي العاطفة الإيمانية والمشاعر النورانية، التي تُكوِّن وجدان المسلم ومشاعره تجاه الله ﷻ والمجتمع والخلق، وفيما يلي بعضا من ذلك:

١- مشاعر الأخوة التي أقلها سلامة الصدر، وأعلاها الإيثار: ﴿ **لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ** ﴾[١].

٢- مشاعر خشية الله ﷻ، وتقواه، والحذر من غضبه التي تربي الضمير الإيماني الذي يراقب الله ﷻ في السر والعلن، ولا ينتظر الرادع السلطاني: ﴿ **وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ** ﴾[٢] ، ﴿ **رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ** ﴾[٣] ﴿ **وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ** ﴾[٤] ، ﴿ **فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾[٥].

٣- الحياء الذي يمنع من التبذل أو الجرأة على المُحَّرم: ﴿ **وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِيٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِيٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُوْلِي ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُواْ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّۚ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾[٦].

---

[١] - سورة النور، الآية رقم: ١٢
[٢] - سورة النور، الآية رقم: ٣٤
[٣] - سورة النور، الآية رقم: ٣٧
[٤] - سورة النور، الآية رقم: ٥٢
[٥] - سورة النور، الآية رقم: ٦٣
[٦] - سورة النور، الآية رقم: ٣١

٤- حسن الظن والإخاء الوثيق، والحب العميق بين أبناء الإسلام: ﴿ لَّوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ ظَنَّ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمۡ خَيۡرٗا وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفۡكٞ مُّبِينٞ﴾[1].

٥- التبغيض من انتشار الفاحشة في المجتمع: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلۡفَٰحِشَةُ فِي ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾[2].

٦- تأصيل مشاعر الاحترام المتبادل، واحترام الخصوصية، والشعور بالراحة والطمأنينة: ﴿ وَإِذَا بَلَغَ ٱلۡأَطۡفَٰلُ مِنكُمُ ٱلۡحُلُمَ فَلۡيَسۡتَـٔۡذِنُواْ كَمَا ٱسۡتَـٔۡذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾[3].

٧- استثارة مشاعر العداوة للشيطان: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ ﴾[4].

٨- ومما يروى في هذا المقام، ما قالته السيدة عائشة رضي الله عنها، وهي تحكي قصة حادثة الأفك[5]، مما رواه الإمام أحمد عن الزهري، قالت: "فبينما هما جالسان عندي (أبويها)، وأنا أبكي إذ استأذنت علي امرأة من الأنصار فأذنت لها، فجلست تبكي معي ". فهذه المرأة لم تفعل أكثر من مشاركة السيدة عائشة رضي الله عنها بمشاعرها في مصيبتها بالبكاء معها.

---

[1] - سورة النور، الآية رقم: ١٢

[2] - سورة النور، الآية رقم: ١٩

[3] - سورة النور، الآية رقم: ٥٩

[4] - سورة النور، الآية رقم: ٢١

[5] - حادثة الإفك هي موضوع المجموعة الثانية من المقطع الأول من سورة النور، والذي يمتد من الآية رقم ١١ إلى نهاية الآية رقم ٢٠. الأساس في التفسير، ٣٧٠٨/٧.

ربط المشاعر بالشعائر

والمشاعر التي جاء بها الإسلام، ربطها بشعائره، وآدابه اليومية، فالصلاة تعمل على التثبيت المستمر لما يدعو إليه الإسلام من التعارف والإخاء والمحبة والمساواة[1]: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ وَيُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ رِجَالٞ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوۡمٗا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلۡقُلُوبُ وَٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾[2]. ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴾[3].

ومشاعر التراحم والمودة بين ذوي القربى، يجب أن تتجسد في تواصل وتزاور وتكافل[4]: ﴿ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ أَن تَأۡكُلُواْ مِنۢ بُيُوتِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ إِخۡوَٰنِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ أَعۡمَٰمِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ أَخۡوَٰلِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمۡ أَوۡ مَا مَلَكۡتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوۡ صَدِيقِكُمۡۚ لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَأۡكُلُواْ جَمِيعًا أَوۡ أَشۡتَاتٗاۚ فَإِذَا دَخَلۡتُم بُيُوتٗا فَسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ تَحِيَّةٗ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةٗ طَيِّبَةٗۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾[5].

ومشاعر الإخاء والمحبة بين المسلمين ومشاعر التكافل الاجتماعي والمسؤولية الاجتماعية يجب أن تتجسد في صورة تكافل، تقوم الزكاة فيه بأهم الأدوار[6]: ﴿ رِجَالٞ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ﴾[7] ،

[1] - ملامح المجتمع المسلم الذي ننشده، ص: ٧٨.
[2] - سورة النور، الآية رقم: ٣٧
[3] - سورة النور، الآية رقم: ٥٦
[4] - ملامح المجتمع المسلم الذي ننشده، ص: ٧٨.
[5] - سورة النور، الآية رقم: ٦١
[6] - ملامح المجتمع المسلم الذي ننشده، ص: ٧٩.
[7] - سورة النور، الآية رقم: ٣٧

﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾[1]. مع أمور أخرى، كالحث على نكاح الأيامي: ﴿ وَأَنكِحُواْ ٱلۡأَيَٰمَىٰ مِنكُمۡ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنۡ عِبَادِكُمۡ وَإِمَآئِكُمۡۚ﴾[2] ، والخلافة التي تفرض على المسلمين وحدة القيادة المنبثقة عن وحدة العقيدة ووحدة الفكر، ووحدة السلوك، ووحدة الوطن الإسلامي[3]: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾[4].

منع المشاعر المخالفة لروح الدين

لا يُسمح في المجتمع المسلم للمشاعر المضادة للمشاعر الإسلامية بالظهور والتأثير السلبي فيه، بل يجتث المجتمع المسلم جذورها حتى لا تظهر، ويطاردها إذا ظهرت بحيث تموت في مهدها[5]، فالإسلام يسد النوافذ التي تهب منها ريح البغضاء والخصومة والفرقة، ويقضي على العوامل التي تدمر معاني الإخاء الإسلامي، وتهدم المشاعر الإسلامية. وهذا هو السر في تحريم الإسلام للغيبة والنميمة والسخرية بالخَلق وغيرها من الرذائل التي تمزق العُرى، وتقتل روح المحبة[6]. ومما ذكر في سور النور حول هذا الأمر:

---

[1] - سورة النور، الآية رقم: ٥٦
[2] - سورة النور، الآية رقم: ٣٢
[3] - ملامح المجتمع المسلم الذي ننشده ، ص: ٧٩.
[4] - سورة النور، الآية رقم: ٥٥
[5] - ملامح المجتمع المسلم الذي ننشده ، ص: ٧٩.
[6] - المرجع السابق، ص: ٨١.

أ- التحذير من سوء الظن بالمؤمنين: قال ﷻ: ﴿إِذۡ تَلَقَّوۡنَهُۥ بِأَلۡسِنَتِكُمۡ وَتَقُولُونَ بِأَفۡوَاهِكُم مَّا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ وَتَحۡسَبُونَهُۥ هَيِّنٗا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٞ﴾[1]، إن تناقل مقالات السوء عن المؤمنين بغير تثبت يشي بسوء الظن بهم. وقد أبانت الآيات لهم هذا الأمر حتى يتجنبوه.

ب- حب انتشار الفاحشة في المجتمع المسلم: قال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلۡفَٰحِشَةُ فِي ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾[2].

ج- مشاعر الغضب من الآخرين: فقد منع الصديق أبو بكر رضي الله عنه النفقة عن قريبه مسطح بن أثاثة، غضبا منه بسبب خوضه في حادثة الإفك، فلما نزل قوله ﷻ: ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ﴾[3] قال رضي الله عنه: "والله إن لأحب أن يغفر الله لي"، وأعاد إليه نفقته.

ء- مشاعر المنافقين تجاه حكم الله ﷻ ورسوله ﷺ: قال ﷻ فيهم: ﴿أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرۡتَابُوٓاْ أَمۡ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَرَسُولُهُۥۚ بَلۡ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[4].

هـ - مشاعر التهويل من قوة الكافرين، ونسيان قوة الواحد القهار: قال ﷻ: ﴿لَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَمَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۖ وَلَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾[5].

---

[1] - سورة النور، الآية رقم: ١٥

[2] - سورة النور، الآية رقم: ١٩

[3] - سورة النور، الآية رقم: ٢٢

[4] - سورة النور، الآية رقم: ٥٠

[5] - سورة النور، الآية رقم: ٥٧

٤ – مجتمع الأخلاق والفضائل والسلوك القويم

الأخلاق والفضائل في الإسلام تشمل ما يتعلق بما بين الإنسان والإنسان، وما بين الإنسان وخالقه، وهي جزء أصيل من كيان المجتمع المسلم الموعود بوعد الله ﷻ، فهو مجتمع العدل والإحسان، والبر والرحمة، والصدق والأمانة، والصبر والوفاء، والحياء والعفاف، والعزة والتواضع، والسخاء والشجاعة، والإباء والشرف، والبذل والتضحية، والمروءة والنجدة، والنظافة والتجمل، والقصد والاعتدال، والسماحة والحلم، والنصيحة والتعاون، والغيرة على الحرمات، والاستعلاء على الشهوات، والغضب للحق، والرغبة في الخير، والإيثار للغير، والإحسان إلى الخلق كافة، وبخاصة بر الوالدين، وصلة الأرحام، وإكرام الجار، ودعوة الناس إلى الخير، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وكل خصال الخير، وخلال المكرمات، ومكارم الأخلاق، وأولها الإخلاص لله ﷻ، والتوبة إليه، والتوكل عليه، والخشية منه، والرجاء في رحمته، والتعظيم لشعائره، والحرص على مرضاته، والحذر من مساخطه، إلى غير ذلك[1].

وفي الجانب السلبي يحرم الإسلام كل الرذائل، والأخلاق الرديئة، ويشتد في تحريم بعضها، فيجعلها في مرتبة الكبائر، كالخمر والميسر، والزنا ويحرم كل ما يقرب أو يعين عليه.

ومما ورد في سورة النور بخصوص الأخلاق والفضائل ما بين الإنسان وخالقه:

أ– التجرد من الأهواء وإيثار ما عند الله: قال ﷻ: ﴿ **رِجَالٌ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ** ﴾[2].

---

[1] - ملامح المجتمع المسلم الذي ننشده، ص: ٨٧.
[2] - سورة النور، الآية رقم: ٣٧

ب– الخشية: قال ﷻ: ﴿ **يَخَافُونَ يَوۡمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلۡقُلُوبُ وَٱلۡأَبۡصَٰرُ**﴾[1].

ج– رجاء رحمته ومغفرته: قال ﷻ: ﴿ **أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٌ**﴾.[2] وقال أيضا: ﴿ **لِيَجۡزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦۗ وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ**﴾[3].

ء– التوبة: قال ﷻ: ﴿ **إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ**﴾[4].

وقال: ﴿ **وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ**﴾[5].

ومما ورد في سورة النور بخصوص المعاملات والأخلاق والفضائل ما بين الإنسان والإنسان :

أ– حسن الظن بالمؤمنين: قال ﷻ: ﴿ **لَّوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ ظَنَّ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمۡ خَيۡرٗا وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفۡكٞ مُّبِينٞ**﴾[6]، فمقتضى الإيمان أن يحب المرء لأخيه ما يحب لنفسه، ومن حبه لأخيه حسن الظن به ودفع التهم عنه.

ب– التثبت وتحري الحق: قال ﷻ: ﴿ **لَّوۡلَا جَآءُو عَلَيۡهِ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَۚ فَإِذۡ لَمۡ يَأۡتُواْ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُوْلَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ**﴾[7]، وقال: ﴿ **إِذۡ تَلَقَّوۡنَهُۥ بِأَلۡسِنَتِكُمۡ وَتَقُولُونَ**

[1] - سورة النور، الآية رقم: ٣٧
[2] - سورة النور، الآية رقم: ٢٢
[3] - سورة النور، الآية رقم: ٣٨
[4] - سورة النور، الآية رقم: ٥
[5] - سورة النور، الآية رقم: ٣١
[6] - سورة النور، الآية رقم: ١٢
[7] - سورة النور، الآية رقم: ١٣

بِأَفۡوَاهِكُم مَّا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ وَتَحۡسَبُونَهُۥ هَيِّنٗا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٞ﴾[1]. فالتثبت والتأكد بالأدلة القطعية، التي لا ترد، وعدم الحكم بالظن مأمور به شرعا.

ج- العفو والصفح : تقول السيدة عائشة: "فلما أنزل الله ﷻ هذا في براءتي قال أبو بكر رضي الله عنه - وكان ينفق على مسطح بن أثاثة لقرابته منه وفقره-: والله لا أنفق عليه شيئا أبدا بعد الذي قال لعائشة"، فأنزل الله ﷻ: ﴿ **وَلَا يَأۡتَلِ أُوْلُواْ ٱلۡفَضۡلِ مِنكُمۡ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤۡتُوٓاْ أُوْلِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾**[2]. فقال أبو بكر : "والله إني لأحب أن يغفر الله لي"، فرد إلى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه، وقال: "والله لا أنزعها منه أبدا" .

ء- العفاف: قال ﷻ :﴿ **وَلۡيَسۡتَعۡفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغۡنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ﴾**[3]. وقال أيضا بخصوص القواعد من النساء: ﴿ **وَٱلۡقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِي لَا يَرۡجُونَ نِكَاحٗا فَلَيۡسَ عَلَيۡهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعۡنَ ثِيَابَهُنَّ غَيۡرَ مُتَبَرِّجَٰتِۢ بِزِينَةٖۖ وَأَن يَسۡتَعۡفِفۡنَ خَيۡرٞ لَّهُنَّۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ﴾**[4].

هـ- الصبر: وهذا الخلق وإن لم يأت بشكل مباشر في السورة، إلا أن قصة حادثة الإفك – سبب نزول آيات حادثة الإفك – تدل على صبر النبي دون أن يبرئ أو يتهم أحدا حتى نزلت الآيات التي تبرئ السيدة عائشة رضي الله عنها وصفوان.

---

[1] - سورة النور، الآية رقم: ١٥
[2] - سورة النور، الآية رقم: ٢٢
[3] - سور النور، الآية رقم: ٣٣
[4] - سورة النور، الآية رقم: ٦٠

ء- افشاء السلام : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ ﴾[1] ، ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً﴾[2].

ومما ورد في سورة النور بخصوص التحذير من الأخلاق الذميمة:

أ- التشنيع في أمر الكذب: ﴿لَّوۡلَا جَآءُو عَلَيۡهِ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَۚ فَإِذۡ لَمۡ يَأۡتُواْ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُوْلَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ﴾[3].

ب- التحذير من حب إشاعة الفاحشة (ما قبح جدا) في المؤمنين بنشر الإشاعات عنهم وفيهم، فيؤدي ذلك إلى الاستخفاف بالفاحشة، أو تشويه سمعة المؤمنين: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلۡفَٰحِشَةُ فِي ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾[4].

ج- التحذير من التخلق بأخلاق المنافقين: ﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعۡنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٞ مِّنۡهُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَۚ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ * وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُم مُّعۡرِضُونَ * وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلۡحَقُّ يَأۡتُوٓاْ إِلَيۡهِ مُذۡعِنِينَ * أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرۡتَابُوٓاْ أَمۡ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَرَسُولُهُۥۚ بَلۡ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾[5].

---

[1] - سورة النور، الآية رقم: ٢٧

[2] - سورة النور، الآية رقم: ٦١

[3] - سورة النور، الآية رقم: ١٣

[4] - سورة النور، الآية رقم ١٩

[5] - سورة النور، الآيات: ٤٧-٥٠

ومما ورد في سورة النور بخصوص السلوك القويم:

أ- غض البصر وحفظ الفرج للرجال والنساء: ﴿**قُل لِّلۡمُؤۡمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِمۡ وَيَحۡفَظُواْ فُرُوجَهُمۡۚ ذَٰلِكَ أَزۡكَىٰ لَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ**﴾[1] ، ﴿**وَقُل لِّلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَغۡضُضۡنَ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِنَّ وَيَحۡفَظۡنَ فُرُوجَهُنَّ**﴾[2].

ب- حفظ اللسان وباقي الجوارح عما يغضب الله ﷻ: ﴿**يَوۡمَ تَشۡهَدُ عَلَيۡهِمۡ أَلۡسِنَتُهُمۡ وَأَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ * يَوۡمَئِذٖ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلۡحَقَّ وَيَعۡلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ ٱلۡمُبِينُ**﴾[3].

ج- الحشمة في ملابس النساء وستر الزينة: ﴿**وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنۡهَاۖ وَلۡيَضۡرِبۡنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّۖ وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوۡ ءَابَآئِهِنَّ أَوۡ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوۡ أَبۡنَآئِهِنَّ أَوۡ أَبۡنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوۡ إِخۡوَٰنِهِنَّ أَوۡ بَنِيٓ إِخۡوَٰنِهِنَّ أَوۡ بَنِيٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوۡ نِسَآئِهِنَّ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيۡرِ أُوْلِي ٱلۡإِرۡبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفۡلِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يَظۡهَرُواْ عَلَىٰ عَوۡرَٰتِ ٱلنِّسَآءِۖ وَلَا يَضۡرِبۡنَ بِأَرۡجُلِهِنَّ لِيُعۡلَمَ مَا يُخۡفِينَ مِن زِينَتِهِنَّۚ**﴾[4].

٥ – مجتمع الآداب والتقاليد الإسلامية

أنشأ الإسلام في المجتمع المسلم الآداب والتقاليد والعادات الإسلامية، لتكون في خدمة عقيدته وشريعته، ومفاهيمه ومشاعره، وأخلاقه وفضائله. فللمجتمع المسلم آدابه وتقاليده، في المأكل والمشرب، والزينة والملبس، والنوم واليقظة، والسفر والإقامة،

---

[1] - سورة النور، الآية رقم: ٣٠
[2] - سورة النور، الآية رقم: ٣١
[3] - سورة النور، الآيات: ٢٤-٢٥
[4] - سورة النور، الآية رقم: ٣١

والزمالة والعشرة، والعمل والراحة، والصداقة والصحبة، والزواج والطلاق، وفي العلاقة بين الرجل والمرأة، وبين الولد وابيه، وبين القريب وقريبه، وبين الجار وجاره، وبين الصغير والكبير، وبين الغني والفقير، وبين البائع والمشتري، وبين الرئيس والمرؤوس، وبين الخادم والمخدوم[١].

فهذه التقاليد والآداب تنشئ بين المسلمين وحدة عملية واقعية، بجوار الوحدة العقدية والفكرية والشعورية، التي أنشأها اتحاد العقيدة والشعائر، والأفكار والمشاعر، فحيثما نزلت بين قوم مسلمين وجدت قدر مشترك من هذه العادات والآداب والتقاليد، تجعل المسلم يشعر أنه بين أهله وإخوانه وذويه، لا يفترق عنهم إلا في جزئيات تفصيلية، نتيجة لاختلاف البيئات والأحوال[٢]. والمجتمع المسلم الحق هو الذي يحامي عن آدابه الأصلية، وتقاليده الثابتة، كما يحامي عن أرضه أن تحتل، وعن حرماته أن تنتهك، وعن ثرواته أن تنتهب، وعن كرامته أن تُهان[٣].

وفيما يلي بعض العادات والتقاليد والآداب الإسلامية في المجتمع المسلم، من واقع سورة النور:

أ- الاحتشام وعدم التبرج: **﴿وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنۡهَاۖ وَلۡيَضۡرِبۡنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّۖ وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوۡ ءَابَآئِهِنَّ أَوۡ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوۡ أَبۡنَآئِهِنَّ أَوۡ أَبۡنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوۡ إِخۡوَٰنِهِنَّ أَوۡ بَنِيٓ إِخۡوَٰنِهِنَّ أَوۡ بَنِيٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوۡ نِسَآئِهِنَّ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيۡرِ أُوْلِي ٱلۡإِرۡبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفۡلِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يَظۡهَرُواْ عَلَىٰ عَوۡرَٰتِ ٱلنِّسَآءِۖ وَلَا يَضۡرِبۡنَ بِأَرۡجُلِهِنَّ لِيُعۡلَمَ مَا يُخۡفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾**[٤].

---

[١] - ملامح المجتمع المسلم الذي ننشده، ص: ٩٧.
[٢] - المرجع السابق، ص: ١٠٠،١٠١.
[٣] - المرجع السابق، ص: ١٠٤.
[٤] - سورة النور، الآية رقم: ٣١

ب- إفشاء السلام: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾[1] ، ﴿فَإِذَا دَخَلۡتُم بُيُوتٗا فَسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ تَحِيَّةٗ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةٗ طَيِّبَةٗۚ﴾[2].

ج- احترام الخصوصية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسۡتَـٔۡذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَبۡلُغُواْ ٱلۡحُلُمَ مِنكُمۡ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٖۚ مِّن قَبۡلِ صَلَوٰةِ ٱلۡفَجۡرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعۡدِ صَلَوٰةِ ٱلۡعِشَآءِۚ ثَلَٰثُ عَوۡرَٰتٖ لَّكُمۡۚ لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ وَلَا عَلَيۡهِمۡ جُنَاحُۢ بَعۡدَهُنَّۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيۡكُم بَعۡضُكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾[3].

ء- غض البصر: ﴿ قُل لِّلۡمُؤۡمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِمۡ ﴾[4]، ﴿ وَقُل لِّلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَغۡضُضۡنَ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِنَّ﴾[5].

هـ- آداب الأطفال البالغين: ﴿وَإِذَا بَلَغَ ٱلۡأَطۡفَٰلُ مِنكُمُ ٱلۡحُلُمَ فَلۡيَسۡتَـٔۡذِنُواْ كَمَا ٱسۡتَـٔۡذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴾[6].

و- عفة القواعد من النساء: ﴿وَٱلۡقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِي لَا يَرۡجُونَ نِكَاحٗا فَلَيۡسَ عَلَيۡهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعۡنَ ثِيَابَهُنَّ غَيۡرَ مُتَبَرِّجَٰتِۢ بِزِينَةٖۖ وَأَن يَسۡتَعۡفِفۡنَ خَيۡرٞ لَّهُنَّۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ﴾[7].

---

[1] - سورة النور، الآية رقم: ٢٧
[2] - سورة النور، الآية رقم: ٦١
[3] - سورة النور، الآية رقم: ٥٨
[4] - سورة النور، الآية رقم: ٣٠
[5] - سورة النور، الآية رقم: ٣١
[6] - سورة النور، الآية رقم: ٥٩
[7] - سورة النور، الآية رقم: ٦٠

ز- السماحة والتيسير ورفع الحرج: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾[1].

ز- حسن العلاقة بين الولد ووالديه: ﴿وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُواْ مِنۢ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمْ﴾[2].

ح- حسن العلاقة بين الإخوة والأخوات: ﴿أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ﴾[3].

ح- صلة الأرحام: ﴿أَوْ بُيُوتِ أَعْمَٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمْ﴾[4].

ط- العلاقة الحسنة بين الأصدقاء والخلان والجيران: ﴿أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوْ صَدِيقِكُمْ﴾[5].

---

[1] - سورة النور، الآية رقم: ٦١
[2] - سورة النور، الآية رقم: ٦١
[3] - سورة النور، الآية رقم: ٦١
[4] - سورة النور، الآية رقم: ٦١
[5] - سورة النور، الآية رقم: ٦١

مجتمع المنهج الإسلامي الشامل

الشمول من الخصائص التي تميز بها الإسلام عن كل ما عرفه الناس من الأديان والفلسفات والمذاهب، بكل ما تتضمنه كلمة (الشمول) من معان وأبعاد[١].

والإسلام شامل لإن رسالته خاتمة الرسالات، فقد جعل الله ﷻ الإسلام ديناً شاملاً لكل ما يحتاج إليه الإنسان في دنياه وأخراه، على مختلف الأزمنة والأمكنة والأشخاص والمجالات، فشموله موضوعي حيث يشمل جوانب العقيدة والشريعة والأخلاق، وشموله زماني لأنه دين خالد ورسالته خاتمة الرسالات، وشموله مكاني حيث يشمل أي بقعة من بقاع العالم. كما يشمل الحياة كله، وكيان الإنسان كله[٢]. ويشمل جميع أحوال الإنسان و كيانه كله: روحه، وعقله، وقلبه، وجوارحه، ومشاعره، وأفكاره[٣].

وفيما يلي بعض جوانب الشمول التي وردت في سورة النور:

أولا – شمول مجالات الحياة

١– المجال السياسي

إن سورة النور تعتبر دستورا للمجتمع المسلم الذي يسعى للقيام بدور الخلافة في الأرض حيث فيها نور المنهج النوراني الرباني، للمجتمع الرباني.

وجوب طاعة الرسول ﷺ فيما حكم به أو من ينوب عنه من أئمة المسلمين بموجب كتاب الله ﷻ وسنة رسوله ﷺ: ﴿**إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ**﴾[٤].

---

[١] - القرضاوي، يوسف. الخصائص العامة للإسلام، ص: ١١٩.
[٢] - المرجع السابق، ص: ١١٩.
[٣] - التعريف بالإسلام، ص: ٣٢١:٣٢٦. (بتصرف)
[٤] - سورة النور، الآية رقم: ٥١

وإقامة الخلافة في الأرض من أهم الأمور السياسية في حياة المسلمين، بما يتضمن ذلك من مقومات الدولة وواجباتها، وطريقة اختيار الخليفة، وبالعموم: حماية الدين وسياسة الدنيا به: ﴿ **وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ** ﴾[1].

من ناحية أخرى فهي تشير إلى أدب التعامل مع النبي ﷺ في اللقاءات العامة ومجالس الشورى واتخاذ القرارات المصيرية: ﴿ **إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُواْ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمۡرٖ جَامِعٖ لَّمۡ يَذۡهَبُواْ حَتَّىٰ يَسۡتَـٔۡذِنُوهُۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَـٔۡذِنُونَكَ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ فَإِذَا ٱسۡتَـٔۡذَنُوكَ لِبَعۡضِ شَأۡنِهِمۡ فَأۡذَن لِّمَن شِئۡتَ مِنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمُ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ** ﴾[2].

٢- المجال الحضاري

أشارت سورة النور إلى الآداب والأخلاق الفردية والاجتماعية، ونظام الأسرة، التي يكون بها الجانب الأخلاقي من الرقي الحضاري- وقد سبق الحديث عن هذه الأنواع من الآداب والأخلاق الراقية، التي يتميز بها المجتمع المسلم، والمنبثقة والمستمدة من العقيدة الإسلامية.

وفي الجانب المدني فإن السورة قد أشارت إلى (الفروض الكفائية) التي تحدثنا عنها أيضا منذ قليل، والتي هي أساس قيام الحضارة، والتي لولا تفعيل المسلمون لها على مدار العصور ما قامت لهم حضارة، ولا بان لهم بنيان[3].

---

[1] - سور النور، الآية رقم: ٥٥

[2] - سورة النور، الآية رقم: ٦٢

[3] - أوضحنا ذلك بكافة تفاصيله في كتابنا: نور الوعد الإلهي، ١- لزوم الفروض الكفائية ومسؤولية الأفراد والمجتمع المدني. وهو متاح على المكتبات الإلكترونية المجانية المختلفة.

وفي السورة أيضا ما يُستدل به على مشروعية الفروض الكفائية: ﴿**ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجۡلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا مِاْئَةَ جَلۡدَةٖۖ وَلَا تَأۡخُذۡكُم بِهِمَا رَأۡفَةٞ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ وَلۡيَشۡهَدۡ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ**﴾[1] ، إن عبارة: ﴿**طَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ**﴾ لم تحدد من هم الذين يحضرون مثل هذا العقاب، لكن أوضحت ضرورة حضور بعض المؤمنين حتى تتحقق بهم الكفاية في حضور تنفيذ الحد الزاجر لهم وللمجتمع عن الوقوع في مثل هذا الفعل الشنيع.

والحضارة سبب ونتيجة للأمن الشامل في المجتمع: ﴿ **وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ** ﴾[2].

٣- المجال التشريعي والقانوني

من مقومات المجتمع المسلم: التشريع، أو القانون الذي يحتكم إلى الشريعة ويحكم بها. والتشريع ليس محصورا في الحدود، بل إن التشريع في الإسلام ينظم العلاقة بين الإنسان وربه، وبين الإنسان وأسرته، وبين الإنسان ومجتمعه، وبين الحاكم والمحكوم، وبين الأغنياء والفقراء، والملاك والمستأجرين، وبين الدولة الإسلامية وغيرها في حالة السلم وحالة الحرب. فهو يشمل كل أنواع القوانين الحديثة، إلى جانب أنه قانون ديني. لذلك يشتمل التشريع على العبادات والمعاملات، والأنكحة والمواريث، والأقضية والدعاوى، والحدود والقصاص والتعازير، والجهاد والمعاهدات، والحلال

---

[1] - سورة النور، الآية رقم: ٢

[2] - سورة النور، الآية رقم: ٥٥

والحرام، والسنن والآداب. فهو ينظم حياة الإنسان من أدب قضاء الحاجة للفرد، إلى إقامة الخلاقة والإمامة العظمى للأمة.

وقد أشرنا إلى بعض من ذلك. ومما أشارت إليه أيضا سورة النور :

أ- الحدود، وكيفية إقامتها: حيث ذكرت حد الزناة، وكيفيته: ﴿**ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا مِاْئَةَ جَلۡدَةٖۖ وَلَا تَأۡخُذۡكُم بِهِمَا رَأۡفَةٞ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ وَلۡيَشۡهَدۡ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ**﴾[1].

ب- طرق الإثبات: حيث ذكرت طريقة إثبات الزنا على الغير بأربعة شهود، وللأزواج على أزواجهم إن لم يكن لهم شهود (الملاعنة) : ﴿**وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَأۡتُواْ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجۡلِدُوهُمۡ ثَمَٰنِينَ جَلۡدَةٗ وَلَا تَقۡبَلُواْ لَهُمۡ شَهَٰدَةً أَبَدٗاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ**﴾[2] ، ﴿**وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ أَزۡوَٰجَهُمۡ وَلَمۡ يَكُن لَّهُمۡ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمۡ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمۡ أَرۡبَعُ شَهَٰدَٰتِۭ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ * وَٱلۡخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعۡنَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ * وَيَدۡرَؤُاْ عَنۡهَا ٱلۡعَذَابَ أَن تَشۡهَدَ أَرۡبَعَ شَهَٰدَٰتِۭ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ * وَٱلۡخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ**﴾[3].

ج- إقامة الخلافة، التي بها تقام كل القوانين، والتشريعات الإسلامية: ﴿ **وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ**﴾[4].

---

[1] - سورة النور، الآية رقم: ٢
[2] - سورة النور، الآية رقم: ٤
[3] - سورة النور، الآيات: ٦-٩
[4] - سورة النور، الآية رقم: ٥٥

والمجتمع المسلم لا يُبنى بالتشريع وحده، والإسلام ليس مجرد تشريع وقانون، إنه عقيدة تفسر الوجود، وعبادة تربي الروح، وأخلاق تزكي النفس، ومفاهيم تصحح التصور، وقيم تسمو بالإنسان، وآداب تجمل بها الحياة – وقد أشرنا إلى كل هذه الأمور. لذلك نجد التشريع الزاجر:

أ- مقرونا بالوعد والوعيد: ﴿ **لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِۚ وَٱلَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ** ﴾[١].

ب- حاملا التخويف والترجية: ﴿**وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُواْ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُواْ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾[٢] ، ﴿**وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ** ﴾[٣] ، ﴿**إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِي ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ**﴾[٤]، ﴿**أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْۚ** ﴾[٥] ، ﴿**إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ**﴾[٦].

---

[١] - سورة النور، الآية رقم: ١١
[٢] - سورة النور، الآية رقم: ٦
[٣] - سورة النور، الآية رقم: ١٠
[٤] - سورة النور، الآية رقم: ١٩
[٥] - سورة النور، الآية رقم: ٢٢
[٦] - سورة النور، الآية رقم: ٢٣

ج- والتوجيه والتربية: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ * يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ * وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[1].

ء- مرغبا في التوبة والإصلاح: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[2] ، ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[3].

هـ- مذكرا بأسماء الله الحسنى: العزيز، إذا أمر ونهي، الحكيم فيما شرع، والغفور الرحيم لمن تاب وأصلح: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيم﴾[4]، مالك الكون، وصاحب الخلق والأمر: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾،[5] وهو على كل شيء قدير: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِير﴾[6].

٤- المجال الفني

الإسلام دين واقعي، يتعامل مع الإنسان كله: جسمه وروحه، وعقله ووجدانه، ويطالبه أن يغذيها جميعا، بما يشبع حاجتها في حدود الاعتدال الذي هو صفة (عباد الرحمن) ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾[7] ، وهذا ليس خلقهم في أمر المال فقط، بل هو خلق أساسي عام في كل الأمور، فهو المنهج

[1] - سورة النور، الآيات: ١٦-١٨
[2] - سورة النور، الآية رقم: ٥
[3] - سورة النور، الآية رقم: ٣١
[4] - سورة النور، الآية رقم: ٥
[5] - سورة النور، الآية رقم: ٤٢
[6] - سورة النور، الآية رقم: ٤٥
[7] - سورة الفرقان، الآية رقم: ٦٧

الوسط للأمة الوسط. وإذا كانت الرياضة تغذي الجسم، والعبادة تغذي الروح، والعلم يغذي العقل، فإن الفن الراقي الذي يسمو بالإنسان يغذي الوجدان.

وروح الفن هي الإحساس بالجمال وتذوقه، والقرآن ينبه على ذلك، ويؤكده في أكثر من موضع. فهو يلفت النظر بقوة إلى عنصر (الحُسن) أو (الجمال) الذي أودعه الله ﷻ في كل ما خلق، إلى جوار عنصر (النفع) أو (الفائدة) فيها. كما إنه شرع للإنسان الاستمتاع بالجمال أو (الزينة) مع المنفعة أيضا[1].

وسورة النور لفتت الأنظار إلى جمال الكون: ﴿**أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ * وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ * أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُۖ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ * يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ * وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍۖ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰٓ أَرْبَعٍۚ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرٞ**﴾[2].

وبالرغم من عدم ذكر سورة النور لأمور هي من الفن بشكل صريح ومباشر، إلا إننا يمكن أن نستنبط بعض المعاني المتعلقة بالالتزام الشرعي في الفن بأنواعه المختلفة، مثل: ﴿**إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِي ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٞ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأٓخِرَةِۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ**﴾[3] ، فإشاعة الفاحشة تتم بأشكال متنوعة،

[1] - ملامح المجتمع المسلم الذي ننشده، ص: ٢٤١.
[2] - سورة النور، الآيات: ٤١-٤٥
[3] - سورة النور، الآية رقم: ١٩

منها الفن الهابط والمثير للغرائز، وبالطبع فإن العمل على عدم نشر الفاحشة في المجتمع يتأتى بأمور منها الفن بأشكاله وأنواعه إذا كان في حدود الآداب الخلقية، ومراعاة الأحكام الشرعية.

وكذلك: ﴿**قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا يَصْنَعُونَ * وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَاۖ**﴾ [1]. هذا الأمر للمؤمنين وللمؤمنات قد يشمل أيضا الفنون التي تساعد على غض البصر وحفظ الفرج ولا تستدعي إبداء زينة المرأة بشكل يثير الغرائز أو يخالف العفة.

٥- مجال القيم الإنسانية

تسود في المجتمع المسلم القيم الإنسانية، التي تقوم على احترام كرامة الإنسان وحريته وحرماته، وحقوقه، وصيانه دمه وعرضه، وماله وعقله ونسله، بوصفه إنسانا وعضوا في المجتمع المسلم.

أ- حفظ عرض الإنسان وماله وعقله ونسله: وقد أشرنا إلى ذلك، عند الحديث عن مقاصد الشريعة في فصل قادم.

ب- حفظ كرامة الإنسان: ﴿**وَلَا تُكْرِهُواْ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُواْ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾[2].

ج- العلم : فأهل العلم هم المؤهلون لخشية الله ﷻ وتقواه، فلا يخشى الله ﷻ إلا من عَرفه، وإنما يعرف الله ﷻ بآثار قدرته ورحمته في خلقه، وقد أشارت سورة النور

---

[1] - سورة النور، الآيات: ٣٠-٣١

[2] - سورة النور، الآية رقم: ٣٣

إلى بعضا من ذلك في قوله ﷻ : ﴿أَوۡ كَظُلُمَٰتٖ فِي بَحۡرٖ لُّجِّيّٖ يَغۡشَىٰهُ مَوۡجٞ مِّن فَوۡقِهِۦ مَوۡجٞ مِّن فَوۡقِهِۦ سَحَابٞۚ ظُلُمَٰتُۢ بَعۡضُهَا فَوۡقَ بَعۡضٍ إِذَآ أَخۡرَجَ يَدَهُۥ لَمۡ يَكَدۡ يَرَىٰهَاۗ وَمَن لَّمۡ يَجۡعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورٗا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾[1] . وقد أثبت العلم الحديث موضوع الأمواج الداخلية في البحار والمحيطات. ، وقوله ﷻ : ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلطَّيۡرُ صَٰٓفَّٰتٖۖ كُلّٞ قَدۡ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسۡبِيحَهُۥۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِمَا يَفۡعَلُونَ * وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلۡمَصِيرُ * أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزۡجِي سَحَابٗا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيۡنَهُۥ ثُمَّ يَجۡعَلُهُۥ رُكَامٗا فَتَرَى ٱلۡوَدۡقَ يَخۡرُجُ مِنۡ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٖ فِيهَا مِنۢ بَرَدٖ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصۡرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُۖ يَكَادُ سَنَا بَرۡقِهِۦ يَذۡهَبُ بِٱلۡأَبۡصَٰرِ * يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ * وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٖ مِّن مَّآءٖۖ فَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰ بَطۡنِهِۦ وَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰ رِجۡلَيۡنِ وَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰٓ أَرۡبَعٖۚ يَخۡلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِير﴾[2].

ء- العمل الصالح: العمل ثمرة العلم، فعلم بلا عمل، كشجر بلا ثمر، أو سحاب بلا مطر، وهو أيضا ثمرة الإيمان الحق، فلا يتصور إيمان بلا عمل. والعمل المنشود في الإسلام هو (عمل الصالحات)، وهو تعبير قرآني جامع، يشمل كل ما يصلح به الدين والدنيا، ويصلح به الفرد والمجتمع. فيضم العبادات والمعاملات، أو عمل المعاش والمعاد. وسورة النور ذاخرة بكل أنواع هذه الأعمال، مما تمت الإشارة إليه في كل ما ذكرناه في الصفحات السابقة.

هـ- الحرية: وهي من القيم التي عظم الإسلام أمرها، لأنها ترفع عن الإنسان كل ألوان الضغط والقهر والإكراه والإذلال، وتجعله كما أراد الله ﷻ له: سيدا في الكون،

[1] - سورة النور، الآية رقم: ٤٠

[2] - سورة النور، الآيات: ٤١-٤٥

عبدا لله ﷻ وحده. وهذه الحرية تشمل: الحرية الدينية (حرية الاعتقاد وممارسة الشعائر)، والفكرية، السياسية، المدنية، وكل الحريات الحقيقية. وقد بينت سورة النور وأشارت إلى الحرية. في الحث على إعانة المُكاتبين حتى ينالوا حريتهم: ﴿وَٱلَّذِينَ يَبۡتَغُونَ ٱلۡكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ فَكَاتِبُوهُمۡ إِنۡ عَلِمۡتُمۡ فِيهِمۡ خَيۡرٗاۖ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ ءَاتَىٰكُمۡۚ﴾[1].

٦- المجال الاقتصادي

لكل مجتمع مذهب اقتصادي خاص، تتمثل فيه فلسفته وعقائده ومُثله، ونظرته إلى الفرد والمجتمع، وإلى المال ووظيفته، وفكرته عن الدين والدنيا، والغنى والفقر، فيؤثر ذلك كله في علاقته بإنتاج الثروة، وطرائق تداولها، وتوزيعها واستهلاكها، ومن ذلك ينشأ نظامه الاقتصادي[2].

ولهذا الاقتصاد قواعد أساسية يقوم عليها بناء اقتصاد المجتمع الإسلامي، وفيما يلي بعضا من هذه القواعد، مما أشارت إليه سورة النور:

أ- نعم المال الصالح في يد العبد الصالح

فالمال في يد الصالحين ليس وسيلة للترف أو البخل، بل لنشر الخير، ووسيلة لطاعة الله: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ

[1] - سورة النور، الآية رقم: ٣٣

[2] - ملامح المجتمع المسلم الذي ننشده، ص: ١٨١.

وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[1].

ب– المال مال الله ﷻ والإنسان مستخلف فيه: **﴿وَآتُوهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ﴾**[2]، فالمالك الحقيقي للمال هو الله ﷻ، والانسان مستخلف فيه، ينفقه بما يكون في اصلاح المجتمع، تحقيقا لوظيفة الاستخلاف في الأرض ، **﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ﴾**[3]. فإذا كان المال الذي هو فضل من الله ﷻ ، في يد أولى الفضل والسعة، كان استخدامه في طاعة الله ﷻ.

ج– الدعوة إلى العمل والكسب الطيب واعتباره عبادة وجهاد:

- **﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾**[4]، فالله ﷻ جعل الاستغناء من فضله، أي بالسعي والكسب الحلال، كوسيلة لتحقيق العفة، فدل على كون السعي والكسب الحلال الطيب عبادة يتقرب بها إلى الله ﷻ .

- **﴿وَآتُوهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ﴾**[5]، حيث تشير الآية إلى أن المال الذي من حلال هو أداة لنفع الغير، وهذا يعتبر جهادا اجتماعيا يحقق مقصدا شرعيا من مقاصد الشريعة، ألا وهو تحقيق الكرامة الإنسانية.

---

[1] - سورة النور، الآية رقم: ٢٢
[2] - سورة النور، الآية رقم: ٣٣
[3] - سورة النور، الآية رقم: ٢٢
[4] - سورة النور، الآية رقم: ٣٣
[5] - سورة النور، الآية رقم: ٣٣

ء- تحريم موارد الكسب الحرام:

- ﴿**وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِن بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾[1]، فالآية الكريمة بينت أن التكسب من الإكراه على البغاء من موارد الكسب الخبيث، لأنه عن طريق الفاحشة واستغلال الإنسان في الحرام، كما إن عبارة: ﴿**لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا**﴾، تظهر أن طلب هذا المال بوسائل دنيئة، يرفضها الإسلام .

- ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ**﴾[2]، فالتحذير هنا من نشر الفاحشة يدخل فيه السعي لنشر الفاحشة سواء كان بالعمل أو المهنة أو التجارة التي تروج للفساد أو الفاحشة، فلو كانت تدر أرباحا على مرتكبها فتكون من موارد الكسب الخبيث.

هـ- تنمية المال بما لا يضر الأخلاق والمصلحة العامة: ﴿**وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا**﴾[3]، فاكتساب المال وتنميته من البغاء من الأمور التي تضر الأخلاق، والمصلحة العامة، لأنها تنشر الفساد في المجتمع، وتجلب على الفرد والمجتمع من الأضرار ما لا يعلمه إلا الله ﷻ.

و- تحقيق الاكتفاء الذاتي للأمة: وهذا يتحقق بأن يكون للأمة الخبرات والكفايات والوسائل والأدوات، التي يجعلها تكتفي بحاجاتها المادية والمعنوية، ويسد ثغراتها العسكرية والمدنية، عن طريق (الفروض الكفائية) وهي تشمل كل علم أو عمل أو

---

[1] - سورة النور، الآية رقم: ٣٣
[2] - سورة النور، الآية رقم: ١٩
[3] - سورة النور، الآية رقم: ٣٣

صناعة أو مهارة، يقوم بها أمر الناس في دينهم أو دنياهم[1]، ومما ورد في السورة حول ذلك:

- ﴿**وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ**﴾[2]، فالآية تدعو إلى الاستعفاف حتى يتحقق الغني بفضل الله ﷻ، أي بالعمل والكسب المشروع، وليس بالاعتماد على الغير، فيتحقق الاكتفاء الذاتي للفرد والأمة.

- ﴿**وَآتُوهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ**﴾[3]، الآية توجه المسلمين للتكافل الاقتصادي بالموارد المحلية، حتى لا يضطر الأفراد والأمة من بعدهم إلى الاعتماد على الغير، بما لذلك الأمر من سلبيات ويجعل الفرد أو الأمة تابعين للغير.

- ﴿ **رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ** ﴾[4] ، الآية تشير إلى أن هؤلاء الرجال نمت تجارتهم الشرعية نموا يشغل عن ذكر الله ﷻ حيث ينشغل التجار بما ينمي هذه التجارة أكثر بما يبني الاقتصاد القوي الذي يجعل الأمة مكتفية ولا تحتاج إلى غيرها. إلا إن هذه التجارة الرائجة الواسعة لا تلهيهم ولا تشغلهم عن ذكر الله ﷻ الذي أفاض عليهم النعم، ولا عن إقام الصلاة التي ينصلح بها حالهم وحال أمتهم، ولا عن إيتاء الزكاة التي يتحقق بها أيضا التكافل الاجتماعي الذي هو من أسباب الاكتفاء الذاتي.

ز- إيجاب التكافل بين أبناء المجتمع وهذا يتحقق بالإنفاق في سبيل الله ﷻ: ﴿**وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي**

[1] - ملامح المجتمع المسلم الذي ننشده، ص: ٢٠٥.
[2] - سورة النور، الآية رقم: ٣٣
[3] - سورة النور، الآية رقم: ٣٣
[4] - سورة النور، الآية رقم: ٣٧

سَبِيلِ اللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[1] ، **﴿وَآتُوهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ﴾**[2] ، وبإيتاء الزكاة بما لها من أثر إيجابي على دافع الزكاة، وآخذ الزكاة، والمجتمع، حيث الزكاة من أهم وسائل التكافل الاجتماعي في الإسلام: ﴿ **رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ﴾**، ﴿ **وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ** ﴾.

٧- المجال الطبي

المجال الطبي يشمل الطب الجسدي والطب النفسي، والطب الوقائي، وغيرها من أنواع الطب. وقد أشارت سورة النور إلى طرف من ذلك:

- ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ** ﴾[3].تحذر الآية من إشاعة الفاحشة، وفي هذا نوع من الوقاية، فالفاحشة إلى جانب إنها مرض اجتماعي، إلا أنها أيضا قد تؤدي إلى انتشار الأمراض الاجتماعية، وكذلك الأمراض الجسدية، كالأمراض الجنسية التي تنتقل بسبب اللقاء الجنسي المحرم، وفي الحديث الشريف: **(وما ظهرت الفاحشة في قوم حتى يعلنوا بها، إلا ظهرت فيهم الأوجاع التي لم تكن في أسلافهم)** (رواه ابن ماجه والحاكم).

---

[1] - سورة النور، الآية رقم: ٢٢
[2] - سورة النور، الآية رقم: ٣٣
[3] - سورة النور، الآية رقم: ١٩

– ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾[1] فرعاية أصحاب الاحتياجات الخاصة، ورفع الحرج عنهم، من أهم الأمور في المجتمع المسلم.

– الأمور التي دعت إليها السورة، كغض البصر، والعفاف، وستر العورات، والاستئذان، بالإضافة إلى حماية الأسر وصيانة المجتمع، فهي أيضا كوقاية من أمراض نفسيه قد تنتج بسبب الانفلات الأخلاقي داخل المجتمع.

– ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ﴾[2] تشير إلى أهمية الماء بالنسبة للكائنات الحية، ومنها الإنسان، وضرورة الاهتمام بتوازن هذا السائل طبيا في جسم الإنسان.

– ﴿ شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾[3] حيث اكتشف العلماء حديث أن زيت الزيتون له خاصية إضاءة لكنها غير مرئية، ووجد العلماء أن كمية الطاقة في زيت الزيتون بشكل خاص كبيرة لدرجة أنها السبب في أن زيت الزيتون يستطيع شفاء أكثر من مئة مرض منها السرطان[4].

٨- المجال الاجتماعي

السورة تتحدث عن أمور كثيرة جدا في المجال الاجتماعي، كالآداب الاجتماعية، والأمراض الاجتماعية، وحلول المشاكل الاجتماعية، وغيرها، وقد ذكرنا بعضا منه بما يغني عن التكرار.

---

[1] - سورة النور، الآية رقم: ٦١
[2] - سورة النور، الآية رقم: ٤٥
[3] - سورة النور، الآية رقم: ٣٥
[4] - الكحيل، عبد الدائم. يكاد زيتها يضيء: رؤية علمية جديدة. مقال منشور على الإنترنت، يوم ٢٠١٩/٥/٦. https://ila.io/mO٤V٤

٩- المجال العسكري

- ﴿ **وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا**﴾[١] هذا الوعد يتضمن أمورا تدخل في المجال العسكري والحربي، حيث ان الاستخلاف أي الحكم الراشد، يتضمن وجود قدرات عسكرية وحربية لدى الدولة المسلمة، وتمكين الدين وهو الإسلام يعني العمل به بكماله وشموله، وما يتضمنه من المجال العسكري، وكذلك الأمن الذي يعني الأمن الشامل، والذي من أهمه الأمن العسكري.

كما إن سبب نزول هذه الآية هو الضيق الذي كان فيه المسلمون بسبب استعدادهم طول الوقت لأي طارئ حربي أو عسكري.

- ﴿ **لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ** ﴾[٢]، رفع الحرج والضيق هنا عن هذه الفئات، داخل فيه إعفائهم من الجهاد بسبب ظروفهم الخاصة، والتي يمكن أن يطلق عليها حديثا: الإعفاء الطبي، أو بسبب العاهات المستديمة.

- ﴿ **إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُواْ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُواْ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ** ﴾[٣]، من هذه الأمور الجامعة المشاورة والتحضير لأمر الجهاد.

---

[١] - سورة النور، الآية رقم: ٥٥
[٢] - سورة النور، الآية رقم: ٦١
[٣] - سورة النور، الآية رقم: ٦٢

ثانيا – شمول أحوال الإنسان كلها

شملت أحكام الإسلام كل أحوال الإنسان، بما يتناسب مع كل ظرف أو حال، وفيما يلي بعض ما ذكرته الآيات في السورة حول أحوال وظروف الإنسان المختلفة:

أ- قبل ولادته

- ﴿ ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوۡ مُشۡرِكَةٗ وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوۡ مُشۡرِكٞۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[1]، تحريم نكاح الزناة، فيه تطهير لأصل الإنسان، وفيه اهتمام بنقاء الذرية قبل أن توجد.

ب- الطفولة

- ﴿ أَوِ ٱلطِّفۡلِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يَظۡهَرُواْ عَلَىٰ عَوۡرَٰتِ ٱلنِّسَآءِۖ﴾[2]، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسۡتَـٔۡذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَبۡلُغُواْ ٱلۡحُلُمَ مِنكُمۡ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٖۚ مِّن قَبۡلِ صَلَوٰةِ ٱلۡفَجۡرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعۡدِ صَلَوٰةِ ٱلۡعِشَآءِۚ ثَلَٰثُ عَوۡرَٰتٖ لَّكُمۡۚ لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ وَلَا عَلَيۡهِمۡ جُنَاحُۢ بَعۡدَهُنَّۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيۡكُم بَعۡضُكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾[3]، لا شك أن الأسرة التي بنيت على الأبوين المؤمنين، سينتج عنها أطفال على المنوال نفسه. ومن ثم فإن التربية المتكاملة للذرية المؤمنة قبل بلوغها ذات تأثير إيجابي على الأطفال، حيث ينشؤون في محضن تربوي مبارك، يؤهلهم لتبعات البلوغ وما بعده.

ج- البلوغ

[1] - سورة النور، الآية رقم: ٣
[2] - سورة النور، الآية رقم: ٣١
[3] - سورة النور، الآية رقم: ٥٨

- ﴿ وَإِذَا بَلَغَ ٱلۡأَطۡفَٰلُ مِنكُمُ ٱلۡحُلُمَ فَلۡيَسۡتَـٔۡذِنُواْ كَمَا ٱسۡتَـٔۡذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾[1]، إن الاهتمام بالطفل قبل البلوغ يمهد لمرحلة البلوغ وما بعدها، فالطفل الذي تلقى التربية الإسلامية الصحيحة قبل بلوغه، لا شك أنه سيتلقى التربية المناسبة التي تعينه على تخطي مرحلة البلوغ، والعبور بسلام إلى الالتزام بالتكاليف الإسلامية التي يبدأ التكليف بها عند البلوغ.

ء- كبر السن

- ﴿ وَٱلۡقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِي لَا يَرۡجُونَ نِكَاحٗا فَلَيۡسَ عَلَيۡهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعۡنَ ثِيَابَهُنَّ غَيۡرَ مُتَبَرِّجَٰتِۭ بِزِينَةٖۖ وَأَن يَسۡتَعۡفِفۡنَ خَيۡرٞ لَّهُنَّۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ﴾[2]، الآية تشير إلى الاهتمام بظروف كبار السن، والتخفيف عنهم، وتشريع الأحكام التي تناسب المرحلة السنية التي يمرون بها.

- ﴿ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ أَن تَأۡكُلُواْ مِنۢ بُيُوتِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمۡ﴾[3]، ﴿فَإِذَا دَخَلۡتُم بُيُوتٗا فَسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ تَحِيَّةٗ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةٗ طَيِّبَةٗۚ﴾[4]. الدخول إلى بيوت الآباء والأمهات والأكل منها، والسلام على من فيها يدل على حسن العلاقة بالوالدين، والاهتمام بهما عند كبر سنهما.

---

[1] - سورة النور، الآية رقم: ٥٩
[2] - سورة النور، الآية رقم: ٦٠
[3] - سورة النور، الآية رقم: ٦١
[4] - سورة النور، الآية رقم: ٦١

هـ- المرض أوالعجز

- ﴿ لَّيۡسَ عَلَى ٱلۡأَعۡمَىٰ حَرَجٞ وَلَا عَلَى ٱلۡأَعۡرَجِ حَرَجٞ وَلَا عَلَى ٱلۡمَرِيضِ حَرَجٞ﴾[1]، التخفيف عن هؤلاء ورفع الحرج والضيق عنهم، يعكس اهتمام الإسلام، بالإنسان في كافة أحواله، وخاصة أحوال الضعف كالمرض والعجز، ومن ثم تشريع الأحكام المناسبة لهذه الظروف، بما يقرب الإنسان من ربه، ويشعره برحمته.

و- الفقر والغني

- ﴿ وَلَا يَأۡتَلِ أُوْلُواْ ٱلۡفَضۡلِ مِنكُمۡ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤۡتُوٓاْ أُوْلِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ﴾[2] ، ﴿ رِجَالٞ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ﴾[3] ، ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾[4]. الغني في المجتمع المسلم مكلف بإخراج زكاة المال، إذا بلغ ماله النصاب الشرعي، وفاض عن حاجته، والدولة المسلمة تجمع هذا المال، وتنفقه في مصارفه الشرعية، التي منها الفقير والمسكين، في مظهر من مظاهر التكافل بين طبقات المجتمع. وغير إخراج الزكاة، يقوم الأغنياء أيضا بإخراج الصدقات، والهبات، والتبرعات، يصلون بها أقاربهم، ومعارفهم، وجيرانهم، ممن يحتاج إليها، فيعم الخير جميع المسلمين.

---

[1] - سورة النور، الآية رقم: ٦١
[2] - سورة النور، الآية رقم: ٢٢
[3] - سورة النور، الآية رقم: ٣٧
[4] - سورة النور، الآية رقم: ٥٦

ثالثا – شمول الأشخاص

التشريعات الإسلامية تشمل الفرد، والأسرة والمجتمع، والحاكم، والدولة. وفيما يلي بعض ما ذكرته سورة النور بهذا الخصوص:

أ– الفرد

– اعتنت الشريعة بالفرد، وشرعت له الأحكام المناسبة لأحواله وظروفه، والتي أشرنا إليها منذ قليل. ومن ذلك أيضا: الأمر بغض البصر، وحسن الظن بالمؤمنين، والآداب والأخلاق الفردية، وإقامة الشعائر والعبادات، وستر الزينة للنساء، وغير ذلك مما ذُكر سابقا، مما يخص الذكور والإناث من أحكام.

ب– الأسرة

– اعتنت الشريعة بالأسرة، فحرمت نكاح الزناة، حتى تكون الأسرة طاهرة، وما ينتج عنها من ذرية. ثم شرعت الآداب والأخلاق التي يجب مراعاتها داخل الأسر، كالاستئذان، وأحكام القواعد من النساء، وكبار السن، والمرضى، وأصحاب الاحتياجات الخاصة، والأكل والشرب من البيوت المختلفة، والسلام عند الدخول.

ج– المجتمع

– سورة النور تبين ملامح المجتمع المسلم، الملتزم بالمنهج الرباني النوراني، وهذا ظاهر في كل ما ذكرناه وما سيتم ذكره لاحقا.

ء- الدولة والحاكم

- ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجۡلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا مِاْئَةَ جَلۡدَةٖۖ وَلَا تَأۡخُذۡكُم بِهِمَا رَأۡفَةٞ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ وَلۡيَشۡهَدۡ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[١]، إقامة الحدود مسؤولية الحاكم المسلم، فهو الذي يتولى هذا الأمر في الدولة الإسلامية، ويحدد من يقوم بالتنفيذ.

- ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ أَزۡوَٰجَهُمۡ وَلَمۡ يَكُن لَّهُمۡ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمۡ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمۡ أَرۡبَعُ شَهَٰدَٰتِۭ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ * وَٱلۡخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعۡنَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ * وَيَدۡرَؤُاْ عَنۡهَا ٱلۡعَذَابَ أَن تَشۡهَدَ أَرۡبَعَ شَهَٰدَٰتِۭ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ * وَٱلۡخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾[٢]، فالملاعنة بين الزوج الذي اتهم زوجته بالزنا وليس عنده شهود، وبين زوجته، تكون أمام القاضي أو الحاكم المسلم الذي عليه إصدار الأحكام الشرعية بناء على هذه الملاعنة.

- ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ ﴾[٣]، الآية تتحدث عن الحكم الإسلامي الراشد، بقيام دولة الخلافة الإسلامية، والتي سيكون لها حاكم مسلم تقي ورع على مستوى تحمل مسؤولية الدين، وسياسة الدنيا به.

- ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوۡلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ أَن يَقُولُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾[٤]، على المؤمنين الرضا بحكم رسول الله، ومن يأتي بعده حاكما بكتاب الله وسنة نبيه.

---

[١] - سورة النور، الآية رقم: ٢
[٢] - سورة النور، الآيات: ٦-٩
[٣] - سورة النور، الآية رقم: ٥٥
[٤] - سورة النور، الآية رقم: ٥١

رابعا- شمول الأمكنة

للإسلام تشريعات مناسبة لظروف البر، والبحر، والجو، أما البر فالأمر ظاهر، والبحر له أيضا أحكام كالصلاة في السفينة، والوضوء من ماء البحر، وأحكام التجارة البحرية، وغير ذلك. أما الجو فله أيضا الأحكام الخاصة به، كالصلاة في الطائرة، وتحديد موعد الإفطار أو بدء الصوم، وتحديد موعد صلاة الصبح في الطائرة، وهكذا.

ومما يدل على شمول الأحكام الشرعية للبر والبحر والجو، أن الله ﷻ له ما في السماوات والأرض، فهو يدبر أمر الكون وهو القادر على ذلك، ﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ** ﴾[1]، ومن تدبيره: تشريع الأحكام الشرعية التي يجب أن يلتزم بها المكلفون في البر والبحر والجو. وعموم علمه وإحاطته فهو ﴿ **بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ** ﴾ ، ولا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء ﴿ **وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِمَا يَفۡعَلُونَ** ﴾ ، ﴿ **وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ** ﴾، ﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ** ﴾ ، ﴿ **وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ** ﴾ ، وهذا يقتضي أن شريعته تشمل كل الأماكن والأحوال.

وقد ذكرت الآيات ما يدل على قدرة الله ﷻ :

- في البر ﴿ **وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٖ مِّن مَّآءٖۖ فَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰ بَطۡنِهِۦ وَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰ رِجۡلَيۡنِ وَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰٓ أَرۡبَعٖۚ يَخۡلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ** ﴾[2].

---

[1] - سورة النور، الآية رقم: ٤٥

[2] - سورة النور، الآية رقم: ٤٥

– وفي البحر: ﴿ **أَوۡ كَظُلُمَٰتٖ فِي بَحۡرٖ لُّجِّيّٖ يَغۡشَىٰهُ مَوۡجٞ مِّن فَوۡقِهِۦ مَوۡجٞ مِّن فَوۡقِهِۦ سَحَابٞۚ ظُلُمَٰتُۢ بَعۡضُهَا فَوۡقَ بَعۡضٍ إِذَآ أَخۡرَجَ يَدَهُۥ لَمۡ يَكَدۡ يَرَىٰهَاۗ وَمَن لَّمۡ يَجۡعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورٗا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ** ﴾[1].

– وفي الجو: ﴿ **أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلطَّيۡرُ صَٰٓفَّٰتٖۖ كُلّٞ قَدۡ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسۡبِيحَهُۥۗ** ﴾[2].

خامسا – شمول كيان الإنسان

الإسلام إنما جاء ليلتزم به الإنسان، ولإن الإسلام دين شامل فقد شمل كل كيان الإنسان، وقد بينت سورة النور هذا الأمر:

أ– الروح والمشاعر والاخلاق

اهتمت الشريعة بما يزكي الروح ويهذب الأخلاق ويربى المشاعر الإسلامية الصحيحة، ومن ذلك:

– أداء الشعائر العبادية، بما فيه تزكية للروح وخشية لله ﷻ: ﴿ **رِجَالٞ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوۡمٗا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلۡقُلُوبُ وَٱلۡأَبۡصَٰرُ** ﴾[3].

---

[1] - سورة النور، الآية رقم: ٤٠

[2] - سورة النور، الآية رقم: ٤١

[3] - سورة النور، الآية رقم: ٣٧

– والنهي عن اتباع خطوات الشيطان من المعاصي والآثام: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۚ﴾[1].

– والتذكير بفضل الله ﷻ ورحمته: ﴿وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾[2] ، ﴿وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ أَبَدٗا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ﴾[3].

- حسن الظن بالمؤمنين: ﴿ لَّوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ ظَنَّ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمۡ خَيۡرٗا وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفۡكٞ مُّبِينٞ﴾[4].

– ذكر النور الذي هو هداية الانسان: ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۚ يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَٰلَ لِلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾[5].

ب– العقل والفكر

شملت الأحكام الشرعية، والتوجيهات الإلهية، العقل والفكر، فمن ذلك:

– تحكيم العقل: ﴿ لَّوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ ظَنَّ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمۡ خَيۡرٗا وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفۡكٞ مُّبِينٞ﴾[6].

---

[1] - سورة النور، الآية رقم: ٢١

[2] - سورة النور، الآية رقم: ٢٠

[3] - سورة النور، الآية رقم: ٢١

[4] - سورة النور، الآية رقم: ١٢

[5] - سورة النور، الآية رقم: ٣٥

[6] - سورة النور، الآية رقم: ١٢

- التفكر: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٖۖ كُلّٞ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾[1] ، ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِي سَحَابٗا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامٗا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٖ فِيهَا مِنۢ بَرَدٖ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُۖ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ * يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةٗ لِّأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ * وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٖ مِّن مَّآءٖۖ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰٓ أَرْبَعٖۚ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرٞ ﴾[2].

ج- الجسد والجوارح

اهتمت الشريعة بجسد الإنسان وجوارحه، ومن ذلك:

- الأمر بغض البصر وحفظ الفرج: ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْۚ﴾[3] ، ﴿ وقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾[4].

- والحجاب الساتر لجسد المرأة: ﴿ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّۖ﴾[5].

- وإخفاء الزينة التي على جسدها: ﴿ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَاۖ﴾[6].

- والأحكام الخاصة بذوي الاحتياجات الخاصة، ممن لهم عجز في أبدانهم كالأعمى والأعرج، أو ضعف في البدن كالمريض: ﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٞ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٞ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٞ﴾[7].

---

[1] - سورة النور، الآية رقم: ٤١
[2] - سورة النور، الآيات: ٤٣-٤٥
[3] - سورة النور، الآية رقم: ٣٠
[4] - سورة النور، الآية رقم: ٣١
[5] - سورة النور، الآية رقم: ٣١
[6] - سورة النور، الآية رقم: ٣١
[7] - سورة النور، الآية رقم: ٦١

مجتمع الاستخلاف والشهود الحضاري

آدم عليه السلام والاستخلاف الحضاري

جعل الله سبحانه وتعالى وظيفة الإنسان أن يكون خليفةً في الأرض، قال عز وجل : ﴿**وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً**﴾[1]، بغاية تطبيق ما كُلف به، بما لذلك من أبعاد ومدلولات حضارية.

فالاستخلاف في حقيقته، حركة إنسانية إيجابية، فاعلة، دائبة، مستمرة، ومتناغمة مع السنن الإلهية في الأنفس والآفاق، ترتقي من خلالها حياة الإنسان روحيا وخُلقيا، وبها تُسخَّر كل مظاهر الكون الفسيح، ويتم الانتفاع بها، وتوجيهها لخدمة البشرية رغبةً في إقامة حضارة إنسانية، في ظل منهج العبودية لله سبحانه وتعالى الذي تنتفي معه كل مظاهر الخلل والفوضى والاضطراب[2].

والدين المُوحَى به من رب العالمين سبحانه وتعالى هو منهج الاستخلاف، والعبودية لله سبحانه وتعالى تتحقق بما جاء به هذا الوحي. والعِلم هو مفتاح الاستخلاف، ﴿ **وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا** ﴾[3]، وإقامة الحضارة (كوضع مكتسب)، تتحقق بعقل الإنسان وبحثه وخبرته وتجربته وجهده، مدفوعا بالتصور الصحيح لحقيقة الوجود، ومُوجَّها بالغاية من الحياة[4]. وبهذا

---

[1] - سورة البقرة، الآية رقم: ٣٠س

[2] - زرمان، محمد. وظيفة الاستخلاف في القرآن الكريم، دلالاتها وأبعادها الحضارية، بحث منشور في حولية كلية الشريعة والقانون والدراسات الإسلامية – جامعة قطر. العدد السادس عشر ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م، ص: ٢٠٠.

[3] - سورة البقرة، الآية رقم: ٣١.

[4] - النجار، عبد المجدي. الاستخلاف في فقه التحضر الإسلامي، بحث منشور في مجلة التجديد، السنة الأولى العدد الأول، ص: ٨٩-٩٠.

النهج سما المسلمون في ظل الحضارة الإسلامية أخلاقيا وإنسانيا، وفي نفس الوقت تقدموا مدنيا وعلميا.

ولقد مر آدم عليه السلام بتجربة عملية لمتطلبات الاستخلاف، تربية له وإعدادا. وليعلم من هذه التجربة أن رفض إبليس السجود له، معناه توجيه فاعليته، وإمكاناته، ونشاطه، هو وجنوده، نحو هدف محدد، ألا وهو منع الإنسان من تحقيق خلافته لله سبحانه وتعالى في الأرض.

القرآن الكريم والشهود الحضاري للأمة الإسلامية

إن أول ما نزل على الإطلاق، من القرآن الكريم على قلب نبينا محمد ﷺ نبه المسلمين إلى الدور المنوط بهم في استمرار واستدامة الاستخلاف بمدلوله الحضاري، امتدادا لخط البشرية المنوط بها، بقوله عز وجل: ﴿ **ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ * ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ * ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ * عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ** ﴾[1]. في هذه الآيات المباركات أمر بقراءتين:

الأولى قراءة شرعية، بقوله عز وجل: ﴿ **ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ** ﴾ وتعني قراءة والعمل بكتاب الله سبحانه وتعالى المقروء، المُوحَى به، المتمثل في القرآن الكريم، ليهتدوا به في أداء مهام الاستخلاف، والقيام بواجب الائتمان وحق العمران. والقراءة الثانية: قراءة عمرانية حضارية، بقوله عز وجل: ﴿ **ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ * ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ * عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ** ﴾، وهي قراءة كتاب الله سبحانه وتعالى المنظور المخلوق المشاهد المحسوس، وهو الكون. والتعرف على آثار القدرة الإلهية، وخلق الإنسان، والظواهر الكونية، وكيفية تسخير الكون ليكون في خدمة البشر. ومصدري المعرفة

---

[1] - سورة العلق، الآية رقم: ١-٥

الإنسانية: الوحي، والنظر في الكون، يتضافران في توصيل الإنسان إلى معارف الشهود الحضاري، والقيام بمهام العمران والاستخلاف في هذا الكون[1]. فإذا انشغل الإنسان بالماديات، سيتقدم ماديا – كما تقدم الغرب – ويبدأ بالشعور أنه قد استغنى عن الخالق ﷻ، بعد أن ظن أنه قهر الطبيعة المسخرة أصلا، وحينئذ ينطبق عليه قوله ﷻ: ﴿ **كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ * أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ** ﴾[2] ، فيكون ذلك فشلا له في الاستخلاف الحضاري. وبالمقابل إذا اكتفى الإنسان بقراءة الوحي، منقطعا عن الدنيا، وعطل فكره، وانتقص من قيمة نفسه، تتعطل طاقات الإنسان، ويظهر عجزه الحضاري، وتختلط عنده قضايا عالم الغيب وعالم الشهادة، ويفشل في الاستخلاف الحضاري أيضا[3].

النبي ﷺ والتغيير الحضاري التوحيدي

منذ اللحظة الأولى لنزول الوحي، انطلق رسول الله ﷺ مجاهدا بالقرآن الكريم، ساعيا في تشكيل مجتمع حضاري يليق بإنسان الاستخلاف، على أسس جديدة، وقواعد متينة، مبنية على فكرة (لا إله إلا الله محمد رسول الله). فكانت أقواله، وأفعاله، وتقريراته، وشمائله، وفضائله، وأخلاقه ﷺ هي القواعد التي بُنى عليها المجتمع الإسلامي الأول في المدينة المنورة، والتي تبلورت بعد ذلك في رقي حضاري لهذا المجتمع، الذي أُنشيء وسط غابة من الهمجية، والغوغائية، والبداوة، والانحطاط. ولقد انتقلت القبائل العربية الجاهلية، بالإسلام الذي جاء به النبي محمد ﷺ من

---

[1] - العلواني، طه جابر. الجمع بين القراءتين قراءة الوحي وقراءة الكون. من إصدارات المعهد العالمي للفكر الإسلامي، سلسلة إسلامية المعرفة (٢٢)، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م، ص: ١٠،١١.

[2] - سورة العلق، الآيات: ٦،٧

[3] - الجمع بين القراءتين قراءة الوحي وقراءة الكون، ص: ١٢:١٤.

الجهالة والبداوة، إلى مرحلة حضارية متوازنة ومتطابقة مع الخطاب الإلهي[1]، حضارة تنافس ما سبقها من حضارات، بل قد تفوقت عليها، وحققت مقصد الله ﷻ من ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[2]: أن تكون شاهدة على الأمم في الدنيا، بحضارتها القائمة على عقيدة التوحيد، وفي الآخرة بأنهم قد بُلغوا، قال ﷻ: ﴿ **وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ** ﴾[3].

سورة النور ومجتمع الشهود الحضاري

سورة النور، سورة المنهج النوراني للمجتمع المسلم الرباني، بما تحمله من نور المعنويات: نور القيم، ونور التعامل، ونور الأخلاق، ونور الإرادة والتصرف، وتوضح أنه ما دام أن الله ﷻ وضع لنا هذا النور، فلا يصح للبشر أنْ يضعوا لأنفسهم قوانين أخرى[4]، قال ﷻ: ﴿ **وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِن نُورٍ**﴾[5]. وقد اشتملت السورة على بيان ما أمكن من النور الإلهي، بالتمثيل المفيد الوصول لكمال المعرفة الممكن للإنسان أن يصل إليها، مع مقدماتها وأسبابها. وهي أعظم مقاصد القرآن [6].

---

[1] - بن مبارك، برغوث عبد العزيز. المنهج النبوي والتغيير الحضاري، كتاب الأمة رقم (٤٣)، الصادر عن مركز البحوث والدراسات بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة قطر، رمضان ١٤١٥هـ - فبراير ١٩٩٥م، ص: ٤٣.
[2] - سورة آل عمران، الآية رقم: ١١٠
[3] - سورة البقرة، الآية رقم: ١٤٣
[4] - تفسير الشعراوي، ١٦/ ١٠١٨٧
[5] - سورة النور، الآية رقم: ٤٠
[6] ـ المَهائِمي، علي بن أحمد (ت ٨٣٥هـ). تبصير الرحمن وتيسير المنان بعض ما يشير إلى إعجاز القرآن (تفسير المَهائمي). ت: الشيخ أحمد فريد الميزيدي، ٦٢/٢.

والخليفة لا ينجح في خلافته إلا إذا سار فيها على وَفْق مراد مَن استخلفه[1]. وهنا ملحوظة هامة، فالحق ﷻ يريد لخليفته في أرضه أن يكون طاهراً شريفاً كريماً عزيزاً؛ لذلك وضع له من القوانين ما يكفل له هذه الغاية. وأول هذه القوانين وأهمها قانون التقاء الرجل والمرأة التقاء سليماً في وضح النهار؛ لينتج عن هذا اللقاء نَسْل طاهر جدير بخلافة الله ﷻ في أرضه؛ لذلك أول ما تكلم الحق ﷻ في هذه السورة تكلَّم عن مسألة الزنى. قال ﷻ: ﴿ **ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجۡلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا مِاْئَةَ جَلۡدَةٖۖ وَلَا تَأۡخُذۡكُم بِهِمَا رَأۡفَةٞ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ وَلۡيَشۡهَدۡ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ** ﴾[2]. لذلك يتوعد الحق ﷻ مَنْ يخالف هذا المنهج ويريد أن يُفسِد شرف الخلافة التي يريدها الله ﷻ طاهرة، ويُدنِّس النسل، ويُوغِر الصدور بالأحقاد والعداوات، ويزرع الشك في نفوس الخَلْق. فجريمة الزنا لا يقتصر ضررها على العداوات الشخصية، إنما تتعدى إلى الإضرار بالمجتمع كله[3]:

١- إذا شك الأب في نسب ولده أهمله بدلا من الاهتمام به، أما الزانية فقد تتخلص منه وهو جنين، وإذا تحملته إلى ولادته تخلصت منه في ليلتها، ولو بإلقائه على قارعة الطريق[4]. فالزنا يفسد نظام البيت، ويهز كيان الأسرة ويقطع العلاقة الزوجية، ويعرض الأولاد لسوء التربية مما يتسبب عنه: التشرد، والانحراف، والجريمة[5].

٢- انتشار الأمراض الفتاكة، التي لا يقتصر ضررها على طرفي الزنا، بل يتعدى ضررها إلى الغير، بالمباشرة أو بالوراثة، مثل: الإيدز، والزهري، والسيلان.

[1] - تفسير الشعراوي، ١٠١٨٦/١٦.
[2] - سورة النور، الآية رقم: ٢
[3] - تفسير الشعراوي، ١٠١٨٩/١٦.
[4] - المرجع السابق، ١٠١٨٨/١٦.
[5] - موقع إسلام أون لاين: فقه المسلم: خطورة الزنى وأثره على الفرد والمجتمع (مقال).

٣- في الزنا ضياع النسب، وتمليك الأموال لغير أربابها عند التوارث[١].

٤- الزنا مدعاة لغرس الأحقاد، والتباغض، والتنازع، وسفك الدماء، ومدعاة لاختلال نظام الأسرة، ولا سيما بين الزوجين الذين أراد الله ﷻ منهما أن يتعاشرا بالحسنى والمعروف[٢].

٥- يجمع الزنا أنواع الشرور جميعها، ففيه قلّة الدين وذهاب الورع ووأد الفضيلة، وغير ذلك من الشرور. ويذهب حياء الإنسان، ويزرع في نفسه الصفاقة[٣].

٦- يعتبر الزاني خائناً غير مؤتمنٍ بين الناس.

٧- يُذهب الزنا كرامة المرأة، ويجرّ العار إلى أهلها وأقاربها.

٨- يطمس الزنا نور القلب، ويسبب حصول الظلمة فيه.

عداوة الشيطان للخليفة

والسورة تبين أن عدو هذا الخليفة هو الشيطان، وتحذره من اتباع خطواته، قال ﷻ: **﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۚ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ أَبَدٗا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ﴾** [٤] وقد حذرت السورة كثيرا من نماذج اتباع خطوات الشيطان بأنواع المعاصي المختلفة.

---

[١] - المرجع السابق.

[٢] - - تفريغ دروس للشيخ عبد الله حماد الرسي - آثار الزنا السلبية على الفرد والمجتمع - المكتبة الشاملة، ص: ٥.

[٣] - الشلتوني، إسراء أيمن. أضرار الزنا. موقع موضوع. مقال منشور يوم ٣ إبريل ٢٠٢٢.
https://mawdoo٣.com/%D٨٪A٣٪D٨٪B٦٪D٨٪B١٪D٨٪A٧٪D٨٪B١_٨
%A٧٪D٩٪٨٤٪D٨٪B٢٪D٩٪٨٦٪D٨٪A٧

[٤] - سورة النور، الآية رقم: ٢١

وقد بينت السورة ما ينبغي فعله إذا حدث اتباع لخطوات الشيطان،

ومن خلال هذه المعالجة للزلل إذا وقع، نتعرف على اسمي الله العزيز والحكيم، إذ نتعرف على أن الله عزيز من خلال الأحكام، ومن خلال العقوبات، ونتعرف على اسم الله الحكيم في كل ما شرع[١].

والسورة تبين كمال وشمول الإسلام الذي هو منهج الاستخلاف؛ ومن ذلك عرضها لأحكام في الإسلام: حد الزنا، وحد القذف، واللعان، وأحكام الاستئذان وآدابه، وأحكام العورة، وغض البصر، وإنكاح الأيامى، ومكاتبة الرقيق، وآداب الدخول إلى البيوت المسكونة وغير المسكونة، وإباحة الأكل من بيوت دوائر معينة، وبعض آداب الاجتماعات في الإسلام، وبعض آداب ينبغي أن تراعى مع رسول الله ﷺ[٢].

وهذا المجتمع الذي طبق هذا المنهج الرباني بلا اجتزاء ولا افراط ولا تفريط، قد استكمل المطلوب منه كمجتمع مسلم، لدرجة أن أصبح المشرك أو الكافر، يخاف أن يظهر شركه أو كفره، أو أي نوع من أنواع الفساد، فيلجأ إلى النفاق، فيظهر الإيمان ويبطن الكفر، ولا يجرؤ الفساد والإفساد أن يكون ظاهرة من ظواهر مثل هذا المجتمع، وهذا الذي جعل هذا المجتمع ومن اتبعه بإحسان أن يستحق وعد الله ﷻ له بالاستخلاف في الأرض وتمكين الدين والأمن.

---

١ - الأساس في التفسير، ٣٦٨٢/٧.
٢ - الأساس في التفسير، ٧/ ٣٦٨٢.

الخلاصة

مقصد خلق الإنسان، هو أن يكون خليفة لله ﷻ في الأرض ﴿**وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً**﴾[1]، بأن يكون عبدا لله ﷻ، متبعا لأمر خالقه في كافة أموره ﴿ **ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ** ﴾[2]. ساعيا لإعمار الأرض والقيام بواجبه الحضاري ﴿**ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ * ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ *عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ** ﴾[3]. والعبادة والخلافة والعمارة متداخلة ومتلازمة: فأداء العمارة بقصد ونية، جزء من العبادة، وقيام بحق الخلافة. والعبادة بمعناها الواسع تشمل الخلافة والعمارة. ولا خلافة بغير عبادة وعمارة[4].

والمجتمع المسلم هدفه تحقيق: الخلافة، والعبادة، والعمارة (الحضارة).

---

[1]- سورة البقرة، الآية رقم: ٣٠

[2] - سورة العلق، الآيات: ١،٢

[3] - سورة العلق، الآيات: ٣:٥

[4] - ملامح المجتمع المسلم الذي ننشده، ص: ١١٠.

مجتمع الوعي المقاصدي

تمهيد

إن الوقوف على حكمة الله ﷻ في شرعه، كالوقوف على حكمته ﷻ في صنعه. والنظر في أسرار الشريعة ومقاصدها، كالبحث والنظر في أسرار الطبيعة وفوائدها، كل منهما يزيدنا معرفة بالله ﷻ وصفاته، ويزيدنا طمأنينة إلى لطفه وبالغ حكمته[١]: ﴿ **وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنۖ قَالَ بَلَىٰ، وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي** ﴾[٢].

ومقاصد الشريعة "تمثل مراد الله ﷻ وهدف وغاية ما كلف به عباده وما شرعه لهم. فهي بمنزلة الثمرة من الشجرة"[٣]. فأهم مقاصد التشريع: انتظام أمر الأمة وجلب الصالح إليها، ودفع الضر والفساد عنها. وما وُضعت الشرائع إلا لمصالح العباد في العاجل والآجل معا"[٤].

والمسلم يؤمن بأن للشريعة مقاصد في كلياتها وجزئياتها، وأن لكل حُكم حِكمته، ولكل تكليف مقصده أو مقاصده. وتَشَّبُع العقل المسلم بالفكر المقاصدي، المتبصر

---

[١] - الريسوني، أحمد. الذريعة إلى مقاصد الشريعة. ط: دار الكلمة للنشر والتوزيع – المنصورة، ٢٠١٦م، ص: ١٨.
[٢] - سورة البقرة، الآية رقم ٢٦٠
[٣] - الريسوني، أحمد. الفكر المقاصدي – قواعده وفوائده. سلسلة كتاب الجيب الصادرة عن جريدة الزمن، كتاب رقم ٩ – ديسمبر ١٩٩٩، ص: ١٣.
[٤] - الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد (ت ٧٩٠هـ). الموافقات، ت: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان. ط: دار ابن عفان، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م، ٦/٢.

بالمقاصد، المعتمد على قواعدها، المستثمر لفوائدها؛ يدفع لفهم نصوص الشريعة وفقه أحكامها في ضوء ما تقرر من مقاصدها العامة والخاصة[1].

طرق إثبات المقاصد الشرعية في القرآن الكريم

في السطور التالية نلخص ما أوضحه الإمام العلامة ابن عاشور رحمه الله في طريقة كشف المقصد من الآيات القرآنية:

١- استقراء الشريعة في تصرفاتها، وهو على نوعين: الأول: استقراء الأحكام المشتركة في علة واحدة ليحصل من ذلك يقين بأن تلك العلة مقصد الشرع، كما يستنتج من استقراء الجزئيات تحصيل مفهوم كلي حسب قواعد المنطق. والثاني: استقراء أدلة أحكام اشتركت في علة بحيث يحصل لنا اليقين بأن تلك العلة مقصد مراد للشارع[2].

٢- الاستخلاص المباشر لمقاصد الشارع من ظواهر النصوص القرآنية الواضحة الدلالة إلى درجة يضعف فيها احتمال كون المراد منها غير ظاهرها، وهي من نصوص قطعية الثبوت لها قوة الظهور إلى درجة اليقين.

٣- الاستخلاص المباشر من السنة المتواترة، وهو قسمين: الأول: من السنة التي حصل تواترها المعنوي من مشاهدة عموم الصحابة عمل من أعمال النبي ﷺ فيحصل لهم علم بتشريع في ذلك يستوي فيه جميع المشاهدين، وهو الطريق الذي تثبت منه

---

١ - الريسوني، أحمد. الفكر المقاصدي – قواعده وفوائده، منشورات جريدة الزمن، كتاب الجيب - ديسمبر ١٩٩٩م، ص: ٣٥،٣٤.

٢ - الأحيرش، محمد عبد الله صالح، مقاصد الشريعة، دراسة في منهج التفسير المقاصدي عند ابن عاشور - دراسة وصفية تحليلية (رسالة ماجستير)، ص: ١٣٠.

المعلومات من الدين بالضرورة، والثاني: تواتر عملي يحصل لآحاد الصحابة من تكرر مشاهدة أعمال رسول الله ﷺ، بحيث يستخلص من مجموعها مقصدا شرعيا[١].

من فوائد معرفة مقاصد الشريعة

١– بيان التصور الكامل للإسلام، والنظرة الإجمالية لأحكامه وفروعه. وبيان الأهداف السامية التي ترمي إليها الشريعة في الأحكام، فيزداد المسلم إيمانا إلى إيمانه، وقناعة في وجدانه، ومحبة لشريعته، وتمسكا بدينه، وثباتا على الصراط المستقيم[٢].

٢– فهم مقاصد الشريعة يعين في فهم النصوص الشرعية، وتفسيرها بشكل صحيح عند تطبيقها[٣].

إلى جانب فوائد هامة للمجتهد والقاضي والفقيه، وهي ليست داخلة في موضوع هذا الكتاب.

سورة النور والتربية المقاصدية للمجتمع

وبطبيعة الحال، فإن سورة النور التي محورها تربية المجتمع المسلم الرباني المسترشد بالمنهج الإلهي النوراني الكامل الشامل، وبيان ملامحه وسماته، ترشد هذا المجتمع إلى التعرف على المقاصد الشرعية لأحكام هذا المنهج الرباني النوراني، ليكون مجتمعا مقاصديا واعيا وفاهما لمقاصد وغايات ما يطبقه ويتبعه من أحكام، حتى تتحقق له فوائد هذه المعرفة، وهذا الفهم.

---

[١] - مقاصد الشريعة، دراسة في منهج التفسير المقاصدي عند ابن عاشور - دراسة وصفية تحليلية، ص: ١٣٠.

[٢] - الزحيلي، محمد مصطفى، مقاصد الشريعة الإسلامية، ص: ٦.

[٣] - الزحيلي، وهبة. مقاصد الشريعة الإسلامية، ص: ٧.

وفي السطور التالية نورد بعض ما ذُكر في سورة النور، عن مقاصد الشريعة الخاصة بالفرد والأسرة، أما مقاصد الشريعة الخاصة بالأمة، ومقاصد الشريعة الخاصة بالإنسانية، فنؤجلها للكتاب القادم من سلسلة: "جيل الوعد الإلهي المنشود" إن شاء الله سبحانه وتعالى.

أولا – مقاصد الشريعة فيما يخص الفرد[1]:

المقصد الأول: حفظ دين الأفراد وتدينهم

من الأمور التي تحفظ دين وتدين الأفراد، وأشارت إليها سورة النور:

١– تأسيس العقيدة السليمة وتقويتها، واجتناب ما يهدمها أو يضعفها[2]، ومن ذلك:

أ– التأكيد على فرض الأحكام الشرعية (التي يتعلق بها عمل) في السورة، قال عز وجل: ﴿ **سُورَةٌ أَنزَلْنَٰهَا وَفَرَضْنَٰهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**﴾[3]. فهذه الأحكام هي من قوام الدين وأسسه. والعمل بها ينمى في نفس المسلم الالتزام الشرعي إلى جانب ما يفيضه عليه من تقوية الإيمان، وتثبيته في نفسه، وحسن صلته بالله سبحانه وتعالى .

أ– التخويف من الحساب يوم القيامة، قال عز وجل: ﴿ **يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ * يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ**

[1] - اعتمدت تقسيم الدكتور/ جمال الدين عطية للمقاصد، في كتابة القيم: "نحو تفعيل مقاصد الشريعة" لما وجدته من ملائمة لموضوع هذا الكتاب. مع بعض التصرف الذي وجدته مناسبا.
[2] - كيف نتعامل مع القرآن العظيم. ص: ٦٥-٦٩
[3] - سورة النور، الآية رقم: ١

ٱلۡحَقُّ ٱلۡمُبِينُ﴾[1]. وقال: ﴿ **يَخَافُونَ يَوۡمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلۡقُلُوبُ وَٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾**[2]، فهذا التخويف ينمي خشية الله ﷻ في قلب المؤمن، ويدعوه إلى طلب رضاه، بما لذلك من انعكاسات إيجابية على علاقة المؤمن بربه، وانعكاس ذلك على سلوكه وعلاقاته الفردية والمجتمعية.

ب- ذكر بعض أسماء الله ﷻ الحسنى وصفاته العلى، بما لذلك من أثر طيب في التعرف على الخالق[3] .

ج- التأكيد على صفات المؤمنين وتصرفهم، إذا دُعوا إلى الله ﷻ ورسوله ﷺ ليحكم بينهم، وذلك بعد التحذير من صفات وأفعال المنافقين، قال ﷻ: ﴿ **إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾**[4]. فالمقصد هنا هو إصلاح الاعتقاد لدى المكلفين تجاه خالقهم ﷻ، فالامتثال لأمره ﷻ، مقصد من مقاصد الشرع، والإيمان به ﷻ، إيمانا لا يخالطه نفاق، والتلقي عن رسوله ﷺ، هو مقصود شرعا.

ء- الدعوة إلى التفكر في مخلوقات الله ﷻ، حيث يؤدي إلى تقوية الإيمان والبصيرة بسنن الله ﷻ في كونه، مما يساعد على التعامل معها واستثمارها في تقوية الإيمان قال ﷻ: ﴿ **أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلطَّيۡرُ صَٰٓفَّٰتٖۖ كُلّٞ قَدۡ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسۡبِيحَهُۥۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِمَا يَفۡعَلُونَ ﴾**[5] ، ﴿ **أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزۡجِي سَحَابٗا**

[1] - سورة النور، الآيتين: ٢٤،٢٥
[2] - سورة النور، الآية رقم: ٣٧
[3] - تحدثنا عنها في فصل : مجتمع الإيمان والعمل الصالح.
[4] - سورة النور، الآية رقم: ٥١
[5] - سورة النور، الآية رقم: ٤١

ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ ۖ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ ﴾[1] ، ﴿ **وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ ۖ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ ۚ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾**[2].

٢- التأكيد على علاقة الأخوة الإيمانية بين المؤمنين، ومن أسسها حسن الظن بين المؤمنين وبعضهم، والذي لا يجب أن يتحول إلى سوء ظن بلا دليل قوي وبرهان ساطع، قال ﷻ: ﴿ **لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴾**[3].

٣- إظهار براءة أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها، أُنس النبي ﷺ، وأحب نسائه إلى قلبه، وقد نقلت إلينا كثيرا من سننه، وآدابه الخاصة في بيته، كما نقلت إلينا أكثر من ألفي ومئتين حديث، كثير منها في الأحكام الشرعية، والطعن فيها يعني الطعن في رسول الله ﷺ، وهذا طعن في الدين، ففي براءتها مقصد عظيم لحفظ الدين[4]، قال ﷻ: ﴿ **إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾**[5].

---

[1] - سورة النور، الآية رقم: ٤٣

[2] - سورة النور، الآية رقم: ٤٥

[3] - سورة النور، الآية رقم: ١٢

[4] - حسن، سعد صالح عبد المجيد. مقاصد الشريعة في سورة النور – نماذج مختارة. بحث منشور في مجلة دراسات في الإنسانيات والعلوم التربوية، العدد رقم ٥، ماي (آيار) ٢٠٢٤م، ص: ٥٩٤.

[5] - سورة النور، الآية رقم: ١١

٤- بيان طريقة التعامل مع أخبار لا تصح في حق أهل بيت رسول الله ﷺ، قال ﷻ: ﴿ **لَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ**﴾[1]. فهذا كلام لا يصح أن نتكلم به ولو حتى بالنفي، فإن كان الكلام بالإثبات جريمة فالكلام بالنفي فيه مظنة أن هذا قد يحدث. التحدث بهذه التهمة لا يليق بأم المؤمنين، ولو حتى بالنفي[2].

٥- إقامة شعائر العبادات المفروضة[3]، وذكر الله ﷻ، قال ﷻ: ﴿ **رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ**﴾[4]. وقال: ﴿ **وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**﴾[5]. فالأداء العملي المستمر لهذه الشعائر، يقيم الدين في النفوس ويؤثر بالإيجاب في واقع الحياة[6].

٦- الأمر بالفرائض غير الشعائر التعبدية، كفريضة الحجاب للنساء، بما لذلك من أثر إيجابي على الفرد المسلم وانعكاس ذلك في المجتمع، قال ﷻ: ﴿ **وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ** ﴾[7] وفريضة التوبة، قال ﷻ: ﴿ **إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾[8] ، ﴿ **وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾[9].

---

[1] - سورة النور، الآية رقم: ١٢
[2] - تفسير الشعراوي، ١٠٢١٩/١٦.
[3] - القرضاوي، يوسف. كيف نتعامل مع القرآن، ص: ٦٥-٦٩.
[4] - سورة النور، الآية رقم: ٣٧
[5] - سورة النور، الآية رقم: ٥٧
[6] - الخادمي، نور الدين. علم المقاصد الشرعية، ص: ٨١.
[7] - سورة النور، الآية رقم: ٣١
[8] - سورة النور، الآية رقم: ٥
[9] - سورة النور، الآية رقم: ٣١

٧- التخلق بالأخلاق الإسلامية، كحسن الظن بالمؤمنين: ﴿ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾[١] ، والعفو والصفح: ﴿وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ﴾[٢]. فأكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا.

٨ – الأمر بغض البصر وحفظ الفرج، للرجال والنساء، قال ﷻ: ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ﴾[٣] ، ﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾[٤]، فمن فوائد غض البصر عن المحارم، أنه يورث حلاوة الإيمان ولذته، التي هي أحلى وأطيب وألذ مما صرف بصره عنه وتركه لله ﷻ ، فإن من ترك شيئا لله ﷻ عوضه خيرا منه[٥]. ولا شك فإن حلاوة الإيمان من آثار قوة الإيمان والدين في النفوس.

وحفظ الفرج من الفواحش والشذوذ، هو حفظ للحرمات والأعراض، وتوفير للحرية المنظمة أو المنضبطة، وإبعاد عن تلويث السمعة، وحفظ للصحة والكمال الإنساني.

٩- توقير الرسول ﷺ، واحترامه، وتبجيله، لأن ذلك شرط في إيمان العبد، قال ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾[٦].

١٠- عمل الصالحات عموما، وهي تشمل كل ما في السورة من العبادات، والأخلاق، والآداب النفسية، أو الاجتماعية. ومن الأمور الظاهرة والباطنة القولية والفعلية. فالإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

---

[١] - سورة النور، الآية رقم: ١٢
[٢] - سورة النور، الآية رقم: ٢٢
[٣] - سورة النور، الآية رقم: ٣٠
[٤] - سورة النور، الآية رقم: ٣١
[٥] - ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب (ت ٧٥١هـ)، إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان. ت: محمد حامد الفقي (ت ١٣٧٨هـ). ط: مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية، ٤٧/١.
[٦] - سورة النور، الآية رقم: ٦٢

١١- التحذير من فعل الفواحش والمنكرات، مما ذكرته السورة الكريمة أيضا، لأنها تسبب فساد القلب، ومعصية الجوارح، والإيمان يزيد بفعل الحسنات، وينقص بارتكاب المعاصي والآثام.

المقصد الثاني: حفظ النفس

يقصد بحفظ النفس: حفظ الإنسان من التلف الكامل بالوفاة، أو التلف الجزئي لبعض أجزاء الجسد، مما يؤدي إلى انعدام منفعتها كليةً. وهو ما يسمى في القانون بحق الحياة، وحرمة الجسم[١].

ومن الأمور التي قررتها الشريعة لحفظ النفس، وأشارت إليها سورة النور:

١- توفير احتياجات الجسد، كالطعام والشراب والمسكن[٢]: قال ﷻ: ﴿ **وَلَا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا مِن بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ ج لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا ج** ﴾[٣].

٢- توفير الحرية الشخصية، والكرامة الإنسانية، تحقيقا لمعنى التكريم الذي اختص الله به الإنسان، فالإنسان جسد، وكيان معنوي روحي نفسي، وحفظه لا يكون إلا بحفظ هذه الجوانب جميعها[٤]، قال ﷻ: ﴿ **وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ**

---

[١] - عطية، جمال الدين. نحو تفعيل مقاصد الشريعة، إصدار: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، سلسلة المنهجية الإسلامية (١٧)، ط: دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر – دمشق – سورية، ص: ١٤٢.

[٢] - نحو تفعيل مقاصد الشريعة، ص: ١٤٢.

[٣] - سورة النور، الآية رقم ٦١

[٤] - نحو تفعيل مقاصد الشريعة، ص: ١٤٣.

تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِن بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[1].

٣- حفظ نفس الفقراء والمحتاجين بالإنفاق عليهم وإعانتهم، سواء بالزكاة، أو بالصدقة، والتبرع قال ﷻ: ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾[2]، وقال: ﴿ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ﴾[3]. وقال: ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾[4].

المقصد الثالث: حفظ العقل

العقل هو أساس إنسانية الإنسان، وقوام فطرته، ومناط التكليف والمسؤولية فيه، وهو المحل الذي تنبجس منه حضارة الأمة، والضامن لعزتها وشهادتها على الناس، لذلك وجب على المجتمع الحفاظ عليه[5]. والعقل أيضا داخل في حرمة حفظ النفس، كسائر الأعضاء ومنافعها، وهو محفوظ شرعا في الأصول الكلية، عما يزيله ساعة أو لحظة[6].

ومن الأمور التي تحفظ العقل، وأشارت إليها سورة النور:

١- لفت انتباه أصحاب العقول السليمة إلى الدلائل والعلامات التي لا تخفى على أصحاب العقول، قال ﷻ: ﴿ سُورَةٌ أَنزَلْنَٰهَا وَفَرَضْنَٰهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَآ ءَايَٰتٍ بَيِّنَٰتٍ لَّعَلَّكُمْ

[1] - سورة النور، الآية رقم: ٣٣
[2] - سورة النور، الآية رقم: ٢٢
[3] - سورة النور، الآية رقم: ٣٧
[4] - سورة النور، الآية رقم: ٥٦
[5] - عز الدين، بن زغيبة. المقاصد العامة للشريعة الإسلامية. ط: مطابع دار الصفوة للطباعة والنشر والتوزيع – مصر، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م، ص: ١٨١.
[6] - الموافقات ٤٧/٣.

تَذَكَّرُونَ ﴾[1]. فتذكر هذه الآيات البينات والتفكر فيها، يهدي إلى النور المبين، وإلى صراط الله المستقيم.

٢- أداء فريضة التفكير والتعقل، التي تعتبر محركة مسالك الاستمرار للإنتاج والعطاء[2]، قال ﷻ: ﴿ **إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ** ﴾[3]. فقد نعى عليهم أن يتكلموا بأفواههم قبل أن يعوا بعقولهم ووعيهم[4]. كما ألهبت الآيات العقول للتفكير في الأمثال التي يضربها الله ﷻ للناس، ليستخلصوا منها العبر، قال ﷻ: ﴿ **ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍۚ يَهْدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيم**﴾[5].

٣- الأمر بغض البصر للرجال والنساء، قال ﷻ: ﴿ **قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْۚ**﴾[6] ، ﴿ **وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ**﴾[7]، فغض البصر يورث نور القلب، وصحة الفراسة. فمن كف نفسه عن الشهوات، وغض بصره عن المحارم، واعتاد أكل الحلال، لم تخطيء له فراسة. وسر ذلك أن الجزاء من جنس العمل. كما إن غض البصر يفتح

---

[1] - سورة النور، الآية رقم: ١
[2] - المقاصد العامة للشريعة الإسلامية، ص: ١٨٠
[3] - سورة النور، الآية رقم: ١٥
[4] - في ظلال القرآن، ٢٥٠٢/٤.
[5] - سورة النور، الآية رقم: ٣٥
[6] - سورة النور، الآية رقم: ٣٠
[7] - سورة النور، الآية رقم: ٣١

لمن يغض بصره طرق العلم وأبوابه، ويسهل عليه أسبابه، بسبب نور القلب، فإنه إذا استنار ظهرت فيه حقائق المعلومات، وانكشفت له بسرعه، ونفذ من بعضها إلى بعضها. ومن أرسل بصره تكدر عليه قلبه، وأظلم، وأنسد عليه باب العلم وطرقه[1].

٤- رفع جميع وسائل الإكراه عن الأفراد، من أجل منعهم من التفكير، وإجبارهم على الخوض فيما لا رغبة لهم فيه، قال ﷻ: ﴿ **وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِن بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾[2].

٥- الدعوة إلى عبادة التفكر والتدبر في مخلوقات الله ﷻ، والتأمل فيها، وأن في ذلك لعبرة لأولى الأبصار وهم أهل العقول، وهذا الأمر يدعو إلى المحافظة على العقل الذي هو مناط التكليف وأداة التفكير. قال ﷻ: ﴿ **أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزۡجِي سَحَابٗا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيۡنَهُۥ ثُمَّ يَجۡعَلُهُۥ رُكَامٗا فَتَرَى ٱلۡوَدۡقَ يَخۡرُجُ مِنۡ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٖ فِيهَا مِنۢ بَرَدٖ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصۡرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُۖ يَكَادُ سَنَا بَرۡقِهِۦ يَذۡهَبُ بِٱلۡأَبۡصَٰرِ * يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ** ﴾[3].

المقصد الرابع: حفظ النسل وحفظ النسب

يقصد بحفظ النسل: صورة بقاء وجود النوع الإنساني، وهذا مقتضى فطرته، وحافز نشاطه، حتى يندفع إلى العمل ولا ينقطع فيه الأمل، وهو ضمان لاستمرار هذا النوع من الأجيال المتعاقبة إلى أن يرث الله ﷻ الأرض ومن عليها[4].

---

[1] - ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب (ت ٧٥١هـ). روضة المحبين ونزهة المشتاقين. ت: محمد عزيز شمس. ط: دار عطاءات العلم (الرياض) – دار ابن حزم (بيروت)، ص: ١٦١،١٦٠.

[2] - سورة النور، الآية رقم: ٣٣

[3] - سورة النور، الآيات رقم: ٤٤،٤٣.

[4] - المقاصد العامة للشريعة الإسلامية، ص: ١٨٣.

وحفظ النسب معناه: القيام بالتناسل المشروع، عن طريق العلاقة الزوجية الشرعية[1].

ومن طبيعي إنْ أردتَ أن تنشئ خليفة في الكون على غير مراد الله ﷻ وعلى غير مواصفات الحق، لا بُدَّ أنْ يضطرب الكون وتتصارع فيه مَلكات النفس، وماذا تنتظر من هذا الخليفة إنْ جاء في الظلام؟ ساعتها تظهر أمراض النسل من وَأْد الأولاد وقتلهم حتى في بطون الأمهات، وقد يتشكّك الرجل في ولده، فيبغضه ويهمله ويتركه للتشرد[2].

إذن: لن تستقيم هذه المسألة إلا حين يأتي الخليفة وَفْق مواصفات ربه، وأنْ يلتقي الزوجان على ما شرع الله ﷻ في وضح النهار، لا أن يندس كل منهما على الآخر في ظلمة الإثم، فيحدث المحظور الذي تختلط به الأنساب، ويتفكك رباط المجتمع[3].

ومن الأمور التي تحفظ النسل والنسب، وأشارت إليها سورة النور:

١- إيجاب الحد على مرتكبي الزنا، لما يترتب على الزنا من آثار سلبية على الفرد والأسرة والمجتمع، قال ﷻ: ﴿ **ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٖۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٞ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ** ﴾[4].

٢- تحريم الزواج من الزناة، حتى يكون النسل طاهرا، ولا تختلط الأنساب، قال ﷻ: ﴿ **ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةٗ وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٞۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ** ﴾[5].

---

[1] - علم المقاصد الشرعية، ص: ٨٣.
[2] - تفسير الشعراوي، ١٠١٨٨/١٦.
[3] - تفسير الشعراوي، ١٠١٨٨/١٦.
[4] - سورة النور، الآية رقم: ٢
[5] - سورة النور، الآية رقم: ٣

٤- تشريع حد قذف المحصنات، وجعله من الكبائر، قال ﷻ: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَأۡتُواْ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجۡلِدُوهُمۡ ثَمَٰنِينَ جَلۡدَةٗ وَلَا تَقۡبَلُواْ لَهُمۡ شَهَٰدَةً أَبَدٗاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾[1]. فمن وقع بلسانه في أعراض الناس، ولم يأت بأربعة شهداء، يشهدون على صحة قوله، أقيم عليه حد القذف المذكور في الآية، صونا لأعراض الناس.

٣- الملاعنة بين الزوجين إذا اتهم الزوج زوجته بالزنا ولم يكن شاهد غيره، قال ﷻ: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ أَزۡوَٰجَهُمۡ وَلَمۡ يَكُن لَّهُمۡ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمۡ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمۡ أَرۡبَعُ شَهَٰدَٰتِۭ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ * وَٱلۡخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعۡنَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ * وَيَدۡرَؤُاْ عَنۡهَا ٱلۡعَذَابَ أَن تَشۡهَدَ أَرۡبَعَ شَهَٰدَٰتِۭ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ * وَٱلۡخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾[2].

٤- التخويف من نشر الفاحشة في المجتمع، قال ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلۡفَٰحِشَةُ فِي ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾[3].

٥- تسهيل الزواج للشباب، لما في ذلك من حماية للفرد وحماية للمجتمع، قال ﷻ: ﴿ وَأَنكِحُواْ ٱلۡأَيَٰمَىٰ مِنكُمۡ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنۡ عِبَادِكُمۡ وَإِمَآئِكُمۡۚ إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغۡنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ﴾[4].

---

[1] - سورة النور، الآيات من ٤
[2] - سورة النور، الآيات من ٦:٩
[3] - سورة النور، الآية رقم: ٢
[4] - سورة النور، الآية رقم: ٣٢

المقصد الخامس: حفظ العِرض[1]

العِرض: جانب الإنسان الذي يصونه من نفسه وحَسَبِه أن يُنتقص ويُثلب، سواء كان في نفسه أو سلَفِه أو من يلزمه أمره، أو موضع المدح والذم منه، أو ما يفتخر به من حسب وشرف، وقد يراد به الآباء والأجداد، والخَليقَة المَحمودة[2].

ومن الأمور الذي تحفظ العِرض، وأشارت إليها سورة النور:

١- تشريع حد القذف، قال ﷻ: ﴿ **وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَأۡتُواْ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجۡلِدُوهُمۡ ثَمَٰنِينَ جَلۡدَةً وَلَا تَقۡبَلُواْ لَهُمۡ شَهَٰدَةً أَبَدًاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ** ﴾[3].

٢- تشريع اللعان بين الزوجين، إذا اتهم الرجل زوجته بالزنا، ولم يكن له شهداء غير نفسه، قال ﷻ: ﴿ **وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ أَزۡوَٰجَهُمۡ وَلَمۡ يَكُن لَّهُمۡ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمۡ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمۡ أَرۡبَعُ شَهَٰدَٰتِۭ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ. * وَٱلۡخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعۡنَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ * وَيَدۡرَؤُاْ عَنۡهَا ٱلۡعَذَابَ أَن تَشۡهَدَ أَرۡبَعَ شَهَٰدَٰتِۭ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ * وَٱلۡخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ** ﴾[4].

---

[1] - اعتبر العديد من العلماء أن العرض كلية سادسة من الكليات الضرورية، التي يجب المحافظة عليها. منهم القرافي في الفروق، والزركشي في البحر المحيط، وابن السبكي في جمع الجوامع، وزروق في قواعد التصوف. المقاصد العامة للشريعة الإسلامية، ص: ١٨٨.

[2] - الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب (ت٨١٧هـ). القاموس المحيط. ت: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة. ط: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، ص: ٦٤٦.

[3] - سورة النور، الآية رقم: ٤

[4] - سورة النور، الآيات: ٦-٩

٣- النهي عن الخوض في أعراض الناس دون دليل، قال ﷻ: ﴿ **لَّوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ ظَنَّ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمۡ خَيۡرٗا وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفۡكٞ مُّبِينٞ * لَّوۡلَا جَآءُو عَلَيۡهِ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَۚ فَإِذۡ لَمۡ يَأۡتُواْ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُوْلَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ** ﴾[1].

المقصد السادس: حفظ المال

المال كل ما يقع عليه الملك ويستبد به المالك عن غيره إذا أخذه من وجهه، ويستوي في ذلك الطعام والشراب واللباس على اختلافها، وما يؤدي إليها من جميع المتمولات[2].

والمال هو ثمرة السعي المشروع للإنسان، وباعث نشاطه الحيوي، وهو قوام حياته، وسبب من أسباب قوته، والمال ليس ملكية خالصة لمالكه، لتعلق حق الأمة به، وهو حق الله ﷻ في أموالهم. ولهذا وجبت المحافظة عليه[3]. وحفظ المال معناه: إنماؤه وإثراؤه وصيانته من التلف والضياع والنقصان[4].

ومما يحفظ المال، وأشارت إليه سورة النور:

١- تشريع العقود الناقلة للملكية، كالبيع، وقد أشارت السورة إلى البيع كأحد العقود المشروعة الناقلة للملكية قال ﷻ: ﴿ **رِجَالٞ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوۡمٗا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلۡقُلُوبُ وَٱلۡأَبۡصَٰرُ**﴾[5].

٢- ضوابط الكسب الحلال، كمنع التكسب بتشغيل الإماء في البغاء، قال ﷻ: ﴿ **وَلَا تُكۡرِهُواْ فَتَيَٰتِكُمۡ عَلَى ٱلۡبِغَآءِ إِنۡ أَرَدۡنَ تَحَصُّنٗا لِّتَبۡتَغُواْ عَرَضَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَمَن**

---

[1] - سورة النور، الآيات: ١٢، ١٣

[2] - الموافقات، ٢/١٧.

[3] - المقاصد العامة للشريعة الإسلامية، ص: ١٩٥.

[4] - علم المقاصد الشرعية، ص: ٨٤.

[5] - سورة النور، الآية رقم: ٣٧.

يُكۡرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعۡدِ إِكۡرَٰهِهِنَّ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾[1]. وأيضا بيان وجوه الإنفاق المشروع، ومن ذلك الأمر بإعانة المُكَاتَبين[2]، قال ﷻ: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَبۡتَغُونَ ٱلۡكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ فَكَاتِبُوهُمۡ إِنۡ عَلِمۡتُمۡ فِيهِمۡ خَيۡرٗاۖ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ ءَاتَىٰكُمۡۚ ﴾[3].

٣- أداء حق الله ﷻ، واجتناب كنز الأموال، وقد أشارت الآيات إلى ايتاء الزكاة التي هي حق الله ﷻ، وتمنع كنز المال. قال ﷻ: ﴿ رِجَالٞ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوۡمٗا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلۡقُلُوبُ وَٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾[4]، وقال: ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾[5].

ثانيا – مقاصد الشريعة فيما يخص الأسرة

بينت سورة النور بعضا من مقاصد الشريعة فيما يخص الأسرة، نذكر فيما يلي بعضا من ذلك:

المقصد الأول: تنظيم العلاقة بين الجنسين

حصرت الشريعة العلاقة بين الجنسين، في صورة واحدة هي صورة الزواج، ووضعت لها الأحكام التفصيلية، وبينت الحقوق والواجبات لجميع الأطراف، وحضت على الزواج، وأباحت التعدد (بشروطه)، والطلاق (بشروطه)، وأمرت باجتناب العلاقات

[1] - سورة النور، الآية رقم: ٣٣
[2] - المُكاتَب: هو العبد الذي يرغب في تحرير نفسه من الرق، فيتعاقد مع سيده على قدر معين من المال، يدفعه لسيده، موزعا على مواقيت معينة، مقابل حريته، وكان ذلك يكتب في صك بينهما. التحرير والتنوير، ٢١٩/١٨.
[3] - سورة النور، الآية رقم: ٣٣
[4] - سورة النور، الآية رقم: ٣٧.
[5] - سورة النور، الآية رقم: ٥٧

خارج الزواج من زنا وشذوذ، وسد طرق الإغراء بالعفة والحجاب، ومنع الخلوة، وغير ذلك. ومما أشارت إليه سورة النور:

١- الترغيب في النكاح: قال ﷻ: ﴿وَأَنكِحُواْ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْۚ إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾[١].

٢- بيان حد الزنا وكيفية إقامته: قال ﷻ: ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[٢].

٣- بيان طريقة إثبات جريمة الزنا:، قال ﷻ: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُواْ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُواْ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾[٣].

٤- واللِّعَان: قال ﷻ: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمْ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ .... إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾[٤].

٥- والحث على العفاف: قال ﷻ: ﴿ وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾[٥] .

٦- والأمر بغض البصر لأنه المدخل إلى الوقوع في الفحشاء، فقد وُجه الأمر للمؤمنين والمؤمنات بغض البصر: قال ﷻ: ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ

[١] - سورة النور، الآية رقم: ٣٢
[٢] - سورة النور، الآية رقم: ٢
[٣] - سورة النور، الآية رقم: ٤
[٤] - سورة النور، الآيات ٦-٩
[٥] - سورة النور، الآية رقم: ٣٣

وَيَحۡفَظُوٓاْ فُرُوجَهُمۡۚ ذَٰلِكَ أَزۡكَىٰ لَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ * وَقُل لِّلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَغۡضُضۡنَ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِنَّ وَيَحۡفَظۡنَ فُرُوجَهُنَّ....﴾[١] .

٧- والحجاب للنساء: قال ﷻ: ﴿ **وَلۡيَضۡرِبۡنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ** .... الآية﴾[٢].

المقصد الثاني : حفظ النسل (النوع)

مقصد حفظ النسل للفرد، هو نفسه مقصد حفظ النسل للأسرة، ويقال هنا مثل ما قيل في حفظ النسل بالنسبة للأفراد.

المقصد الثالث: حفظ النسب

يتحقق حفظ النسب كمقصد للشريعة خاص بالأسرة عن طريق تحريم الزنا، والتبني، وأمور أخرى، وقد أشارت سورة النور، إلى بعض من ذلك، حيث بينت حد الزنا، وكيفية إثبات جريمة الزنا، واللعان بين الزوجين في حالة ما لم يكن للزوج الذي اطلع على جريمة زوجته شهود. وقد ذكرنا ذلك في الحديث عن مقاصد الشريعة الخاصة بالفرد.

المقصد الرابع: حفظ التدين في الأسرة

إذا فُقد التدين في الأسرة، أدى ذلك إلى فسادها وتفككها، وسوء تربية الأجيال التي ستحمل مسؤولية المستقبل[٣]. ولحفظ التدين في الأسرة، يجب أن تتكون على أساس

---

[١] - سورة النور، الآيات ٣٠،٣١

[٢] - سورة النور، الآية رقم: ٣١

[٣] - نحو تفعيل مقاصد الشريعة، ص: ١٥٣.

الدين، حيث ينشأ الأولاد على العقيدة والعبادة والأخلاق، ومن الأمور التي تحفظ التدين في الأسرة، وذُكرت في سورة النور:

١- تحريم نكاح الزناة، قال ﷻ: ﴿ ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوۡ مُشۡرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوۡ مُشۡرِكٞۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾[1]. فالزناة لا يمكنهم تربية النشء على الإيمان والتقوى، والصلاح والبر. وفي هذا ضرر بالغ للفرد، والأسرة، والمجتمع.

٢- الأمر بغض البصر، للرجال والنساء،: قال ﷻ: ﴿ قُل لِّلۡمُؤۡمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِمۡ وَيَحۡفَظُواْ فُرُوجَهُمۡۚ ذَٰلِكَ أَزۡكَىٰ لَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ * وَقُل لِّلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَغۡضُضۡنَ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِنَّ وَيَحۡفَظۡنَ فُرُوجَهُنَّ....﴾[2].

٣- الاستئذان قبل الدخول على الوالدين، قال ﷻ: ﴿ وَإِذَا بَلَغَ ٱلۡأَطۡفَٰلُ مِنكُمُ ٱلۡحُلُمَ فَلۡيَسۡتَـٔۡذِنُواْ كَمَا ٱسۡتَـٔۡذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴾[3].

٤- الآية السابقة أيضا تشير إلى اهتمام الوالدين، بتعليم الأطفال الذين يبلغون الحُلُم، الدين والخلق.

الخلاصة

المسلمون كأفراد ومجتمع يعلمون أن الأحكام الشرعية لها مقاصد، فهم يسعون للتعرف على هذه المقاصد، ومراعاتها في أقوالهم وأفعالهم، وفي أمورهم العامة والخاصة.

[1] - سورة النور، الآية رقم: ٣
[2] - سورة النور، الآيات ٣٠،٣١
[3] - سورة النور، الآية رقم: ٥٩

مجتمع مراعاة السنن الإلهية

السنن الإلهية الاجتماعية هي القوانين العامة الثابتة والمستمرة، المتعلقة بأفعال البشر وسلوكهم. فهي طريقة الله ﷻ في معاملته للبشر، وما يترتب على ذلك من نتائج معينة في الدنيا والآخرة[1].

ويمكن التعرف على هذه السنن، ببيان القرآن الكريم، أو سنة النبي ﷺ. وقد يخبرنا الله ﷻ عن أمر معين أنه سنة، بلفظ (سنة) كقوله ﷻ: ﴿**وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلًا**﴾[2] أو بغير لفظ (سُنة) كأن يعبر عن سنته بتقرير نتيجة معينة بناء على وصف معين أو حالة معينة أو بناء على سبب أو شرط معينين كقوله ﷻ: ﴿ **إِنَّ اللهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ**﴾[3] أو ﴿**وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا**﴾[4]-[5]. كما إن عِلم التاريخ عِلم رئيس في الكشف عن سنن الله ﷻ في الحياة والأحياء، وكذلك السير في الأرض والنظر في مصائر الأمم السابقة.

ودراسة هذه السنن التي بينها الله ﷻ في القرآن الكريم، أو بينها الرسول ﷺ جديرة بالدراسة والفهم، بل إن ذلك من الواجبات الدينية لأن معرفتها معرفة لبعض الدين[6]، قال ﷻ:

---

[1] - زيدان، عبد الكريم، السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية، ط: مؤسسة الرسالة، ص: ١٤،١٣.
[2] - سورة الفتح، الآية رقم: ٢٣
[3] - سورة الرعد، الآية رقم: ١١
[4] - سورة الكهف الآية رقم: ٥٨.
[5] - السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية، ص: ١٦،١٥.
[6] - السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية، ص: ١٦.

﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرٰى لِلْمُسْلِمِين﴾[١] ، وهي تبصرنا بكيفية السلوك الصحيح في الحياة حتى لا نقع في الخطأ والعثار والغرور والأماني الكاذبة، وبذلك ننجو مما حذرنا الله ﷻ منه، ونظفر بما وعد الله ﷻ به عباده المؤمنين المتقين[٢].

وإدراك السنن الإلهية عامل مهم وركيزة أساسية في حفظ كيان الأمة من الاضطراب والفناء، وأساس في رفعة شأنها ودوام عزها كرامتها. فالأمة التي كتب لها النجاة من علل الاجتماع أو الشفاء منها عند حدوثها، تتعرف على تلك السنن وتطبق أعمالها عليها. أما الأمة التي قدر عليها الاضطراب أو الفناء تغبى عن هذه السنن وتجري من أعمالها على غير هدى[٣].

وكل ما يحل بالمجتمعات من تقدم أو تأخر، أو ما يحل بالحضارات من تقدم أو نكوص، كل ذلك يقع وفق قواعد وسنن، والتكليف بعمارة الأرض، والاجتهاد في حسن أداء أمانة الاستخلاف يعني بذل الجهد لاكتشاف هذه السنن، ومن ثَم حسن التعامل معها، مما ينعكس على إعادة النظر والمراجعة في المقدمات والأسباب، وتجنب الطرق التي كانت وراء انقراض الأمم السابقة[٤].

---

[١] - سورة النحل، الآية رقم ٨٩

[٢] - السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية، ص: ١٦.

[٣] - يوسف، ذو الكفل محمد. السنن الإلهية: حقيقتها وإدراكها في ضوء القرآن الكريم. بحث منشور في مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية – العدد السابع، جمادى الآخرة ١٤٣٠هـ، ص: ٨٢.

[٤] - السنن الإلهية: حقيقتها وإدراكها في ضوء القرآن الكريم، ص: ٨٥.

وفقه السنن يعطي القدرة على التغيير والتجديد ومغالبة قدر بقدر، والفرار من قدر إلى قدر، ووضع الخطط والبدائل، واستغلال الإمكانات والوسائل المتاحة لتسخير الكون لخدمة الإنسان، ورفعة الأمة وفق المنهج الذي أراده الله ﷻ [1].

وسورة النور كسورة تبين المنهج الرباني النوراني للمجتمع المسلم، لا شك أنها تذكر بعضا من هذه السنن، ليتربى المجتمع المسلم عليها، وللإشارة إلى الانتباه لغيرها مما لم يرد فيها. وفيما يلي بعضا من هذه السنن:

١- سنة الأسباب والمسببات (قانون السببية)

يقصد بهذه السنة أو هذا القانون أن كل شيء يحصل للإنسان في الدنيا والآخرة بسبب، وقد تكون الأسباب مادية أو معنوية[2]، ومن الفوائد هنا إنه إذا أردنا تغيير الواقع، فما علينا إلا أن نغير الأسباب التي أدت إلى حصوله، فيتغير. وفيما يلي بعض الأمثلة على هذه السنة في سورة النور:

أ- الزنا يوجب إقامة الحد، بشهادة الشهود، قال ﷻ: ﴿ **ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٖۖ** ﴾[3].

ب- قذف المحصنات بدون شهود سبب إقامة حد القذف، وعدم قبول الشهادة والنعت بالفسق، قال ﷻ: ﴿ **وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُواْ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةٗ وَلَا تَقْبَلُواْ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدٗاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ** ﴾[4].

---

[1] - السنن الإلهية: حقيقتها وإدراكها في ضوء القرآن الكريم، ص: ٩٠.
[2] - السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية، ص: ٢١،٢٢.
[3] - سورة النور، الآية رقم: ٢
[4] - سورة النور، الآية رقم: ٤

ج- تصديق الإشاعات ونشرها سبب تدمير الثقة العامة وإضعاف وحدة الصف، والإصابة بالفتن الداخلية والاضراب الاجتماعي، لذلك وَجَّه الله ﷻ المجتمع إلى التثبت من الإشاعات وعدم تناقلها بالطريقة التي وصفها قال ﷻ: ﴿ **إِذۡ تَلَقَّوۡنَهُۥ بِأَلۡسِنَتِكُمۡ وَتَقُولُونَ بِأَفۡوَاهِكُم مَّا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ وَتَحۡسَبُونَهُۥ هَيِّنٗا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٞ** ﴾[1].

ء- التوبة بشروطها سبب المغفرة، قال ﷻ: ﴿ **إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ** ﴾[2].

هـ- العفو عن الناس في الدنيا سبب المغفرة والرحمة، قال ﷻ: ﴿ **وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ** ﴾[3].

و- طاعة الرسول سبب الهداية، قال ﷻ: ﴿ **وَإِن تُطِيعُوهُ تَهۡتَدُواْۚ** ﴾[4].

ز- الإكراه من أسباب عدم المسائلة، قال ﷻ: ﴿ **وَلَا تُكۡرِهُواْ فَتَيَٰتِكُمۡ عَلَى ٱلۡبِغَآءِ إِنۡ أَرَدۡنَ تَحَصُّنٗا لِّتَبۡتَغُواْ عَرَضَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَمَن يُكۡرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعۡدِ إِكۡرَٰهِهِنَّ غَفُورٞ رَّحِيمٞ** ﴾[5].

ح- حسن الجزاء بسبب حسن العمل، قال ﷻ: ﴿ **لِيَجۡزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦ** ﴾[6].

---

[1] - سورة النور، الآية رقم: ١٥
[2] - سورة النور، الآية رقم: ٥
[3] - سورة النور، الآية رقم: ٢٢
[4] - سورة النور، الآية رقم: ٥٤
[5] - سورة النور، الآية رقم: ٣٣
[6] - سورة النور، الآية رقم: ٣٨

سنة الله في اتباع هداه والإعراض عنه (قانون الهدى والضلال)

هدى الله ﷻ هو الذي أرسل به الرسول ﷺ، قال ﷻ: ﴿ **هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ** ﴾[1]. والسنة الإلهية أن من يترك هدى الله يتركه الله ﷻ وما يختاره، وأن طيب العيش لمتبع الهدى، والعيش والضنك للمعرض عنه. وقد بينت سورة النور هذه السنة بجلاء في قوله ﷻ: ﴿ **قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ** ﴾[2].

فالناس بالاختيار لا إكراه عليهم: من اطاع الهدى الذي جاء به النبي ﷺ هداه الله ﷻ ، ومن لم يطعه لم يهده الله ﷻ.

سنة الابتلاء (قانون الابتلاء)

الابتلاء بمعنى الاختبار والامتحان، يكون في الخير والشر معا قال ﷻ: ﴿ **وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً** ﴾[3] . وقد مضت سنة الله ﷻ في امتحان عباده بالخير والشر بما يصيبهم مما يثقل عليهم كالفقر والمرض والمصائب المختلفة، كما يختبرهم بما ينعم به عليهم من نعم مختلفة تجعل حياتهم في رفاهية ورخاء وسعة، كالصحة والغنى

[1] - سورة الفتح، الآية رقم: ٢٨.
[2] - سورة النور، الآية رقم ٥٤
[3] - سورة الأنبياء، الآية رقم: ٣٥

ونحو ذلك. ليتبين بهذا الابتلاء من يصبر في حال الابتلاء، ويشكر في حال الرخاء والنعمة[1]. وقد ورد في سورة النور بعضا من تلك الابتلاءات إشارة إلى هذه السُنَّة:

١- الابتلاء بمفاتن الدنيا والأهواء: مثال سبب نزول آية: ﴿ **ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ** ﴾ [2] حيث استأذن مرثد بن أبي مرثد الغنوي النبي ﷺ في الزواج من امرأة بَغِّي اسمها عناق، كانت صديقة له في الجاهلية، فلما نزلت الآيات انتهى عن ذلك رغم حبه لها، إيثارا لله ﷻ ورسوله ﷺ.

٢- الابتلاء بالأذى (**أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل**): حيث أبتلي الرسول ﷺ وأحب أهله إليه، السيدة عائشة، بحديث الإفك، لفترة تصل إلى شهر أو أكثر، حتى أنزل الله ﷻ تبرئة السيدة عائشة في آيات سورة النور.

٣- امتحان الجماعة المسلمة بالشدائد، للتمحيص والتمييز، ولتعرف الجماعة المسلمة وزن قوتها الحقيقية، ولكشف المنافقين المندسين في صفوفها، وانكشاف حال القادمين إليها للغنيمة أو الجاه أو التجسس، أو غير ذلك من الأغراض الدنيوية أو الخسيسة، ولينكشف الضعفاء، وليعرف الصادقين في إيمانهم ومدى عمقه في نفوسهم[3]. هذه الشدائد التي كانت سبب نزول قوله ﷻ: ﴿ **وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ**

---

[1] - السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية، ص: ٨٢،٨١.
[2] - سورة النور، الآية رقم: ٣
[3] - السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية، ص: ٩٩.

دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴾ [١].

٤- الابتلاء بالتفاوت بين الناس، ليظهر مدى قيامهم بما يلزمهم شرعا من فعل أو ترك نحو أنفسهم وغيرهم بناء على الحالة التي هم عليها وامتازوا بها عن غيرهم، واختصوا بها من دونهم[٢]، كما كان بين أبي بكر الصديق، وقريبه المهاجر البدري الفقير: مسطح بن أثاثة، والذي خاض في حديث الإفك، فمنع الصديق عنه نفقته بسبب ذلك، فلما نزل قوله ﷻ: ﴿ **وَلَا يَأۡتَلِ أُوْلُواْ ٱلۡفَضۡلِ مِنكُمۡ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤۡتُوٓاْ أُوْلِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴾**[٣] كظم الصديق غضبه، وعفا عنه وأعاد إليه نفقته.

٥- فتنة مدعي الإيمان بامتحانهم بضروب مختلفة من الامتحانات، حتى يختبر صحة عقيدتهم وصدق إيمانهم ليتميز المخلص من غير المخلص، والصادق في إيمانه من الكاذب، والراسخ في الدين من المضطرب فيه[٤]. فالذين يَدَّعون الإيمان يُدْعَون إلى الله ﷻ ورسوله ﷺ ليحكم بينهم، فيظهر إيمانهم أو نفاقهم، قال ﷻ:

﴿ **وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُم مُّعۡرِضُونَ * وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلۡحَقُّ يَأۡتُوٓاْ إِلَيۡهِ مُذۡعِنِينَ * أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرۡتَابُوٓاْ أَمۡ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَرَسُولُهُۥۚ بَلۡ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ * إِنَّمَا كَانَ قَوۡلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذَا**

---

[١] - سورة النور، الآية رقم: ٥٥
[٢] - السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية، ص: ٨٤.
[٣] - سورة النور، الآية رقم: ٢٢
[٤] - السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية، ص: ٩٣.

دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ أَن يَقُولُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ * وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخۡشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقۡهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴾ [١].

سنة الله في المتساوين والمختلفين (قانون التماثل والأضداد)

يقصد بالمتساويين أي المتشابهين في المعاني والأوصاف، التي هي مناط الأحكام أو تستوجب نتائج معينة حسب سنن الله ﷻ العامة. أما المختلفين فيقصد بهم الأضداد أي المختلفين في المعاني والأوصاف التي هي مناط الأحكام أو التي تستوجب نتائج معينة حسب سنن الله ﷻ العامة. فالمتساوون والمختلفون يتساوون أو يختلفون في النتائج والأحكام في الدنيا والآخرة لتساويهم أو اختلافهم في المعاني والأوصاف التي نيطت بها هذه النتائج والأحكام أو استوجبتها[٢].

وفي سورة النور ورد الأمر بالاعتبار، في قوله ﷻ: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴾ [٣] أي أن يقرن الشيء بمثله فيعلم أن حكمه مثل حكمه. كما ورد في سورة النور أمثلة للمختلفين الذين تختلف أحكامهم في الدنيا والآخرة بسبب اختلافهم في المعاني والأوصاف التي نيطت بها هذه النتائج والأحكام أو استوجبتها: فالرجال الذين ﴿ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوۡمٗا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلۡقُلُوبُ وَٱلۡأَبۡصَٰرُ [٤] عاقبتهم في الآخرة: ﴿ لِيَجۡزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦۗ وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴾[٥] ، أما الذين كفروا، فهولاء

---

[١] - سورة النور، الآيات: ٤٨ ــ ٥٢
[٢] - السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية، ص: ١٦٣.
[٣] - سورة النور، الآية رقم: ٤٤
[٤] - سورة النور، الآية رقم: ٣٧
[٥] - سورة النور، الآية رقم: ٣٨

﴿ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ * أَوۡ كَظُلُمَٰتٖ فِي بَحۡرٖ لُّجِّيّٖ يَغۡشَىٰهُ مَوۡجٞ مِّن فَوۡقِهِۦ مَوۡجٞ مِّن فَوۡقِهِۦ سَحَابٞۚ ظُلُمَٰتُۢ بَعۡضُهَا فَوۡقَ بَعۡضٍ إِذَآ أَخۡرَجَ يَدَهُۥ لَمۡ يَكَدۡ يَرَىٰهَاۗ وَمَن لَّمۡ يَجۡعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورٗا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴾ [1]

وكذلك في أول السورة الحديث عن الاختلاف بين المؤمنين والمشركين والزناة، في قوله ﷻ: ﴿ ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوۡ مُشۡرِكَةٗ وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوۡ مُشۡرِكٞۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾[2] ، فالزناة والمشركون تختلف أحكامهم الشرعية عن المؤمنين.

وأيضا الاختلاف بين من قذف المحصنات ولم يأت بأربعة شهداء ثم تاب، وبين ذلك الذي فعل نفس فعله ثم لم يتب، في قوله ﷻ: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَأۡتُواْ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجۡلِدُوهُمۡ ثَمَٰنِينَ جَلۡدَةٗ وَلَا تَقۡبَلُواْ لَهُمۡ شَهَٰدَةً أَبَدٗاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ * إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾[3].

فأولئك القاذفون للمحصنات دون أن يأتوا بأربعة شهداء على صحة ما قالوه هم الفاسقون الخارجون عن طاعة الله ﷻ، إلا الذين تابوا منهم من بعد ذلك توبة صادقة نصوحا ، وأصلحوا أحوالهم وأعمالهم ، فإن الله ﷻ كفيل بمغفرة ذنوبهم ، وبشمولهم برحمته. وهذا حكمهم. عكس الذين فعلوا مثل فعلهم ولم يتوبوا.

وكذلك الاختلاف بين الخبيثين والطيبين : ﴿ ٱلۡخَبِيثَٰتُ لِلۡخَبِيثِينَ وَٱلۡخَبِيثُونَ لِلۡخَبِيثَٰتِۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِۚ أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَۖ لَهُم

[1] - سورة النور، الآيات ٣٩،٤٠

[2] - سورة النور، الآية رقم: ٣

[3] - سورة النور، الآيات ٤،٥.

مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ﴾[1] ، والاختلاف بين المؤمنين والمنافقين: ﴿ وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُم مُّعۡرِضُونَ * وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلۡحَقُّ يَأۡتُوٓاْ إِلَيۡهِ مُذۡعِنِينَ * أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرۡتَابُوٓاْ أَمۡ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَرَسُولُهُۥۚ بَلۡ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ * إِنَّمَا كَانَ قَوۡلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ أَن يَقُولُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ * وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخۡشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقۡهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ﴾[2].

والاختلاف في الحكم بين البيوت المسكونة وغير المسكونة (العامة) : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ * فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فِيهَآ أَحَدٗا فَلَا تَدۡخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤۡذَنَ لَكُمۡۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرۡجِعُواْ فَٱرۡجِعُواْۖ هُوَ أَزۡكَىٰ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ *. لَّيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ مَسۡكُونَةٖ فِيهَا مَتَٰعٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا تَكۡتُمُونَ﴾[3]. وهكذا كل متشابهين أو مختلفين في السورة.

سنة الاستخلاف في الأرض لمستحقيه

هذه السنة التي أظهرها قوله ﷻ: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴾[4].

---

[1] - سورة النور، الآية رقم: ٢٦
[2] - سورة النور، الآيات: ٤٨-٥٢
[3] - سورة النور، الآيات: ٢٧-٢٩
[4] - سورة النور، الآية رقم: ٥٥

فقد وعد الله ﷻ رسوله ﷺ بأنه سيجعل أمته أئمة الناس والولاة عليهم، وبهم تصلح البلاد، وتخضع لهم العباد. وأن يؤيدهم بالنصرة والإعزاز ويجعل دينهم الإسلام ثابتا ويعلي الله شأنه، ويقوم المؤمنون بتطبيق أحكامه، وجعلها هي المهيمنة على جميع شؤون الناس، وأن يبدهم من بعد خوفهم بمقتضى الطبيعة البشرية من أعدائهم أمنا وطمأنينة[١].

وهذه السنة لها أسباب وشروط وموانع، فإذا توفرت الأسباب، وتحققت الشروط وانتفت الموانع، فقد حق للأمة أن تنتظر تحقق هذا الوعد لها، أما إذا فقدت المجتمعات المسلمة الأسباب، أو لم تحقق الشروط، ولم تنف عن نفسها الموانع، فلا تتحقق لها هذه السُنَّة. وقد شرحنا هذا الأمر في الكتاب الأول من هذه السلسة، (متى يتحقق وعد الله للأمة الإسلامية).

الخلاصة

سورة النور بينت للمجتمعات المسلمة خضوع مآلات حركتها لسنن إلهية لا تتبدل ولا تتغير، فإن هي وعتها ورعتها استفادت منها، وإن هي جهلتها وأهملتها كان لذلك آثار سلبية خطيرة عليها.

---

[١] - السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية، ص: ١٧٨،١٧٩.

النتائج

١- جيل الصحابة قدوة الأجيال من بعده، فقد بُني على القرآن، وعاش صحبة النبي ﷺ.

٢- تُظهِر سورة النور ملامح المجتمع المسلم القدوة، فهي سورة المنهج الرباني النوراني للمجتمع الرباني. ويجب أن تكون هذه هي ملامح أي مجتمع مسلم، ملتزم بالإسلام ويسعى ليتحقق له وعد الله ﷻ بالاستخلاف في الأرض وتمكين الدين والأمن الشامل.

٣- أهم ملامح مجتمع الصحابة أنه مجتمع الإيمان والعمل الصالح، المصبوغ بصبغة الله ﷻ، ومن أحسن من الله صبغة.

٤- المجتمع المسلم، مجتمع الإسلام الكامل: العقيدة، والشعائر التعبدية، والمشاعر والعواطف، والأخلاق والفضائل والسلوك، والأفكار والتصورات، والآداب والتقاليد، والمعاملات (الشرائع كلها)، مجتمع الجهاد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٥- المجتمع المسلم، مجتمع الإسلام الشامل، الذي يشمل مجالات الحياة جميعا: كالمجال السياسي، والاقتصادي، والاجتماعي، والحضاري، والقانوني، والفني، والقيم الإنسانية، والطبي، والعسكري الحربي.

ويشمل أحوال الإنسان كلها: قبل ولادته، ومرحلة الطفولة، والبلوغ، وكبر السن، والمرض أو العجز، والفقر والغني.

ويشمل الأشخاص: الأفراد، والأسرة، والمجتمع، والدولة والحاكم.

ويشمل الأماكن كلها: البر، والبحر، والجو.

ويشمل كيان الإنسان كله: روحه، ومشاعره، وأخلاقه، وعقله وفكره، وجوارحه وكل جسده.

٦- المجتمع المسلم مجتمع الاستخلاف والشهود الحضاري، فآدم عليه السلام أنزل إلى الأرض، ومن وظائفه تعمير الأرض، والقرآن أكد على أن الأمة الإسلامية شاهدة على باقي الأمم بدينها وحضارتها، والنبي ﷺ شكل المجتمع الحضاري الذي يليق بإنسان الاستخلاف على أساس فكرة (لا إله إلا الله محمد رسول الله)، وسورة النور هي سورة مجتمع الشهود الحضاري المتبع المنهج الرباني النوراني، وهذا المجتمع يسمع ويطيع، ويعادي الشيطان الرجيم.

٧- المجتمع المسلم، مجتمع الوعي المقاصدي، يعي التصور الكامل للإسلام، ويعي الأهداف السامية التي ترمي إليها الشريعة الإسلامية في أحكامها، ويفهم مقاصد النصوص الشرعية، ويفسرها بشكل صحيح عند تطبيقها.

٨- المجتمع المسلم مجتمع مراعاة السنن الإلهية المجتمعية، التي يسير عليها ولا يتخطاها أبدا خط: التاريخ السابق، والحاضر الحالي، والمستقبل اللاحق، والتي تفسر كل ما يحل بالمجتمعات من تقدم أو تأخر، أو ما يحل بالحضارات من تقدم أو نكوص.

التوصيات

١- راجع رؤيتك: ما الذي ترغب أن تكون عليه، بالنسبة لخدمة الإسلام؟

٢- راجع أهدافك النابعة من تلك الرؤية: هل هي أهداف محددة قابلة للتحقيق؟ هل تحقق هذه الرؤيا؟

٣- راجع برامجك العلمية والعملية التي تحقق هذه الأهداف: هل هي مناسبة لظروفك؟ هل تستغل كل طاقتك وإمكاناتك ومهاراتك وأوقاتك، لتحقيق هذه الأهداف؟

٤- هل من هذه الأهداف إصلاح المجتمع من حولك؟

٥- تدارس مع أهلك وأحبابك وأصدقائك وجيرانك، أحد الكتب السهلة المبسطة في الفقه مثل فقه السنة – السيد سابق، أو الوجيز في الفقه الإسلامي – وهبة الزحيلي. لا تتوقف عند نهاية أبواب العبادات، أكمل إلى نهاية أبواب الفقه كلها. لا تجتهد من نفسك في فهم أمور غير واضحة. اسأل أحد العلماء الذين تثق في علمهم ولو على شبكة الإنترنت، وصحح معلوماتك ومعلومات من حولك.

تذكر جيدا: يجب أن تكون لديكم واجبات عملية أسبوعية سهلة مبسطة بناء على ما تقرأون.

كتب للمؤلف

١- دراسة وتحقيق جزء من أول "كتاب الوديعة" إلى آخر "كتاب قَسْم الفيء والغنيمة" من مخطوط "الابتهاج في شرح المنهاج" للإمام تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي (المتوفى ٧٥٦هـ). [رسالة ماجستير]

٢- نور الوعد الإلهي، "١- لزوم الفروض الكفائية ومسؤولية الأفراد والمجتمع المدني".

٣- نور الوعد الإلهي، "٢- مقدمات فقه التمكين".

٤- نور الوعد الإلهي، "٣- فقه التمكين بآفاق وأبعاد جديدة".

٥- سلسلة جيل الوعد الإلهي المنشود (١): "متى يتحقق وعد الله للأمة الإسلامية".

٦- سلسلة جيل الوعد الإلهي المنشود (٢): "ملامح المجتمع المسلم المنشود في سورة النور". [هذا الكتاب]

جميع الكتب متوفرة على الشبكة العنكبوتية، في المكتبات الإلكترونية المجانية: مكتبة نور، فوله بوك، كتوباتي، مكتبة الكتب، أرشيف، مصورات عبد الرحمن النجدي (الكتب ١-٣).

للتواصل مع المؤلف:

nahowalnour@gmail.com

فهرس

مقدمة	٦
تمهيد	١٠
النور في سورة النور	١٦
مجتمع الإيمان والعمل الصالح	٢٥
مجتمع المنهج الإسلامي الكامل	٣٢
مجتمع المنهج الإسلامي الشامل	٥٥
مجتمع الاستخلاف والشهود الحضاري	٨١
مجتمع الوعي المقاصدي	٩٠
مجتمع مراعاة السنن الإلهية	١١١
النتائج	١٢٣
التوصيات	١٢٥
كتب للمؤلف	١٢٦
الفهرس	١٢٧

تم بحمد الله

بين يدي هذه السلسلة

فقدت الأمة الإسلامية مكانتها وريادتها بين الأمم، وأصبحت في حاجة إلى من يجدد لها أمر دينها، وينهض بدنياها، ويوحدها، ويردها كما كانت خير أمة أخرجت للناس.

إن الأمل لا يزال قائما في تغيير حال الأجيال الحالية من الأمة، بشرط أن يقوم المصلحون بواجبهم نحوها، ويتحدوا، ويعيدوا تشكيل وترتيب عقل الأمة من جديد. فهؤلاء من تنتظرهم الأمة لإصلاح هذا الجيل أو بناء جيل آخر جديد، تعود الأمة به إلى دورها المنوط بها، بالشهادة على الأمم بحضارة إسلامية حديثة، أساسها التوحيد، وغايتها إرضاء ربها الواحد الأحد.